



فلاسفة العرب



الكتاب



يوجن تير

اللِّنْدُرِي

◎

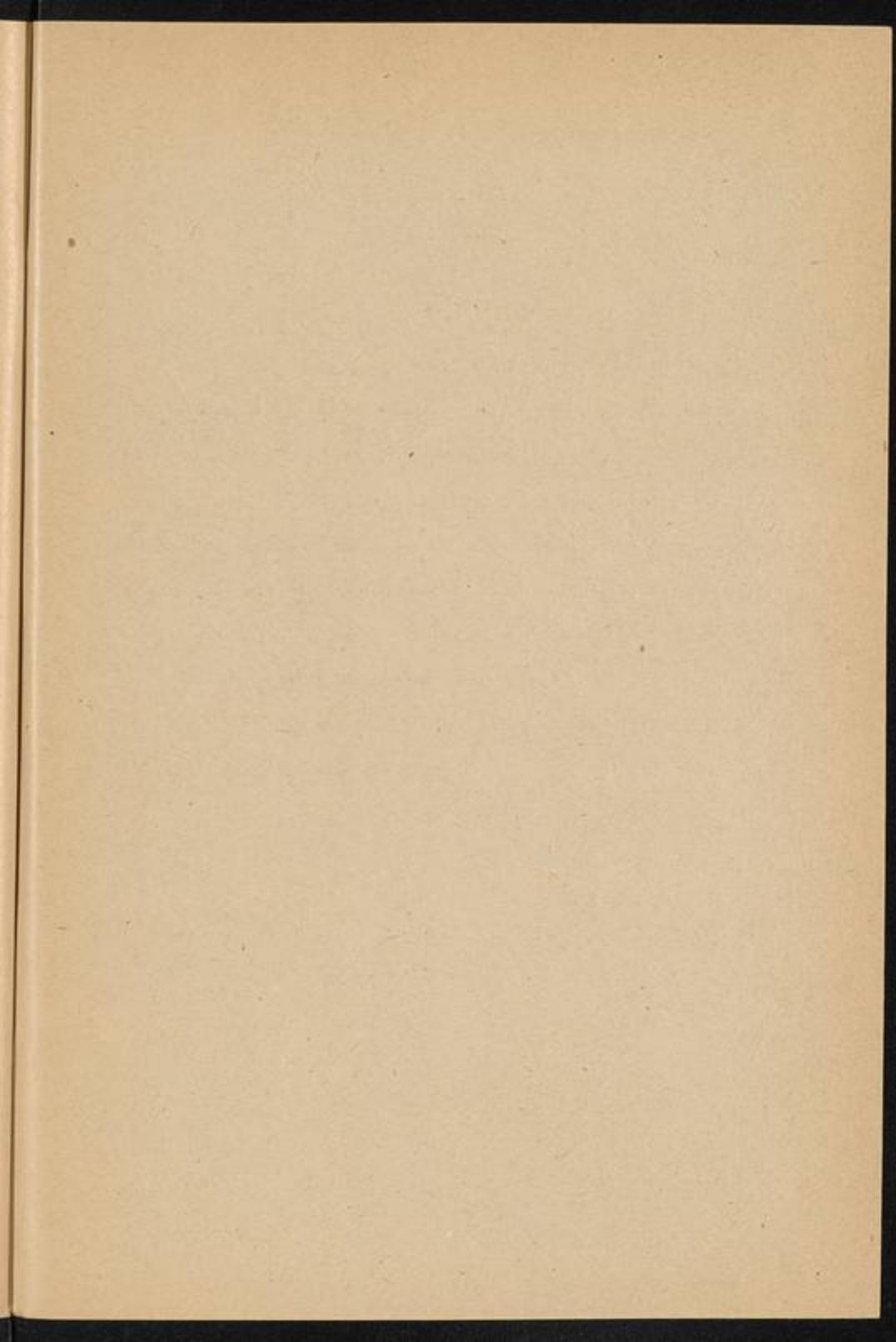
دراست - مختار

B
741
Ø98
4.8

B 925/31
X
V. 91c

كان الكندي ، الى زمن قريب ، اسماً معروفاً وفكراً مجهولاً .
كان الباحثون يقولون عنه - حين يقولون - انه عالم اكثراً ما هو فيلسوف ،
وانه خلف بعض اراءه متناولة ، لم يتعقب ولم ينفر .

ليس يعنينا الان ان نعرف الكندي كعالم ، او ان نعرفه الى الناس .
اما الكندي الفيلسوف فقد طالعنا [ما] استطعنا الحصول عليه من رسائله ،
فوجدنا عقلاً اطلع على خلاصة الفكر اليوناني ، والقى البذور الاولى
لاهم ما جاء في الفكر العربي ، وبالتالي وجدنا انفسنا امام اول بان في
صرح الفلسفة العربية ، ومن احتمم بالعناية والدرس .
وأنا ، اذ نشر هذا البحث في الكندي ، خطط اساساً عليه بنى
اللاحقون ، وندلل على منهله منه وردوا .



الكندي

? ٨٦٦ - ? ٨٠١

? ٢٥٢ - ? ١٨٥

ترجمة

هو ابو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي ، الملقب « بفيلسوف العرب » .

كان شريف الاصل ، عريق الحسب ، وكان ابوه اسحق اميرًا على الكوفة المهدى (١٥٩ - ١٦٩ هـ = ٧٧٥ - ٧٨٥) ، والرشيد (١٢٠ - ١٩٤ هـ = ٧٨٦ - ٨٠٩) .

قيل انه كان يهودياً واسلم ، وقيل بل كان نصرانياً . وكلما التولى
لا يستند الى مقينع .

ولد في البصرة ونشأ ، ثم اتى بغداد . اتصل بالمؤمن (١٩٨ - ٢١٨ هـ = ٨٣٣ - ٨١٣) ، و أخيه المعتصم (٢١٨ - ٢٢٨ هـ = ٨٣٣ - ٨٤٢) ، وادب محمد بن المعتصم ، وكان عظيم المزلة عند جميعهم . اما المتوك
(٢٤٢ - ٢٣٣ هـ = ٨٤٧ - ٨٩١) فقد نقم عليه ، وضربه ، وابعده .
كان الكندي فيلسوفاً ، قريباً من المزالة ، فقربه المؤمن والمعتصم ، لانهما

كانا من المغترلة يحيان الفلسفة ، وعهد المتكل مذهب اهل السنة ، فمحقق
على الكندي واوضطهده . وصبر الكندي على المحن ، وآثر غنى العقل
على رضى الخلفاء :

وعند مليكك فابغ العلو وبالوحدة اليوم فاستأنس
فان الغنى في قلوب الرجال وان التعرز بالانفس^(١)

٥

ذكر القسطي ان الكندي ترجم الكثير من كتب الفلسفة ، وأوضح
منها المشكل ، ولخص المستصعب . فهل عرف الكندي السريانية او
اليونانية ليقوم بهذه الترجمة ، ام كانت ترجمته تلخيصاً فقط لترجمات عامضة ،
وإيضاً؟ ان الفرض الثاني اقرب الى روح النص ، وارجع .

وذكر القسطي ايضاً ان الكندي اشتهر بالتبصر في فنون الحكمة
اليونانية والفارسية والهندية . وذكر ابن النديم انه رأى ، بخط فيلسوفنا ،
كتاباً في ملل الهند نسخته الاصلية من عام ٢٤٦ هـ = ٨٦٣ . وعليه
يكون الكندي اطلع على اهم افكار بيته ، وان تفاوت هذا الاطلاع
عمقاً ومدى .

٦

مات الكندي على اثر علة في ركبته . ويظهر ان الشراب العتيق
كان يصلح العلة ، فلما تاب الكندي عن الشراب استد المرض واهلكه .

٧

اما خلق الكندي فقد امتاز ، على ما نعلم ، باشياء :
امتاز اولاً بالبخل ، ان صح ما نسب اليه ابن النديم ، وصحت
وصيته الى ابنته . وما جاء في هذه الوصية : « يا بني ، ابا رب ،

(١) من ايات ذكرها ابن ابي اصيحة للكندي .

والاخ فتح ، والعم غم ، والحال وبال ، والاقارب عقارب ، وقول «لا» يصرف البلا ، وقول «نعم» يزيل النعم . وسماع القناه برسام حاد ، لأن الانسان يسمع فيطرب ، وينفق فيسرف ، فيفتقر فيعلم فيقتل فيموت والدينار محروم ، فان صرفته مات . والدرهم محبوس ، فان اخرجه فر . والناس سخرة ، فخذ شيتهم واحفظ شيتك ! «

وامتاز الكندي بعشرته اخلفاء ، والترفع عن سوقه الناس ومحالطة العامة ، يدفعه الى ذلك سو حسب وسو فكر .

وامتاز بحب السكينة ، والسلامة من الفم^١ ، والتفرغ لشئون العقل ، ككيابيدو حرصه - من مقدمات رسائله وخاتمتها - على افهام المتعلم ، وهداية الاجاهل .

٢٤

ذكر المؤرخون للكندي ما يربو على مائة مؤلف في مختلف فروع الفلسفة ، كما كانت تفهم في ذلك العصر . ونكتفي هنا بذكر اهم ما طبع من تاليفه :

۱ - کمیة کتب ارسٹو :

یسرد کتب ارسعلو فی :

المنطق : المقولات ، والتفسير (= العبارة) ، والعكس من الرأس (= القياس) ، والإيضاح (= البرهان) ، والمواضع (= الجدل) ، والمنسوب في السوفسطائيين ، والبلاغي ، والشعري .

١) لـرسالة : « الخيلة لدفع الاحزان . »

- الطبيعتاt : الحبر الطبيعي (= الساع الطبيعي) ، والباه ، والكون والفساد ، والعلوي (= الآثار العلوية) ، والمعادن ، والنبات والحيوان .
- النفسانيات : كتاب النفس ، والحس والمحسوس ، والنوم واليقظة ، وطول العمر وقصره .
- وما بعد الطبيعات : كتاب واحد .
- والسياسة : الاخلاق الى نيقوماخوس ، والكتاب المدنى .

يقف الكندي عند هذا الحد من التفصيل ، ويقول ان لارسطو غير ذلك كتباً كثيرة ورسائل شتى .

ويرى الكندي حاجة الفيلسوف الى معرفة كتب ارسطو التي حددتها باخواتها ، كما يرى ان فهم هذه الكتب لا يم الامن درس الرياضيات ، اي المدد وال الهندسة والتجميم والتأليف (= الموسيقى) ، ودرس علم الكنم والكيف والجواهر .

وفي الرسالة ذكر لاغراض ارسطو في كتبه ، واشياء في المنطق ، ومقابلة بين علم الرسل وعلم البشر .

٢ - حدود الاشياء ورسومها :

تحاديد لالفاظ فلسفية عديدة .

٣ - الفلسفة الاولى :

اشرف الصناعات الفلسفة ، واشرف الفلسفة الفلسفة الاولى ، اي « علم الحق الاول الذي هو علة كل حق .» الله ازلي ، غير معلول ، واحد ، بسيط ، تام ...

ألف الكندي هذا الكتاب لاخليفة المعتصم .

٤ - الناуль الحق الاول والفاعل الثاني بالمجاز :

الفاعل اثنان : فاعل حقيقي يفعل دون ان ينفعل ، وهو الله فاعل الكل ؛ وفاعل بالمجاز منفعل عن الله ، او عن منفعل الله ؛ وهو كل المخواقات .

٥ - تناهي جرم العالم :

جرائم العالم متذاءه .

٦ - مائة^١ ما لا يمكن ان يكون لا نهاية ، وما الذي يقال لا نهاية له :
يستعمل ما لا نهاية له بالفعل في الجرم والحركة والزمان ، ويعكن
بالقوة .

٧ - وحدانية الله وتناهي جرم العالم :

جرائم العالم متذاء ، ومثله حركته وزمانه . فالعالم اذا حادث ، وله
محمد هو الله . والله واحد .

٨ - العلة الفاعلة القريبة للكون والفساد :

العلة الفاعلة البعيدة للكون والفساد على الارض هي الله ، علة كل
شيء . وسبب كل نظام اما العلة القريبة فهي الافلاك . ويتطرق الكندي
إلى تأثير المناخ في اجسام الناس واخلاقهم^٢ .

٩ - سبود الجرم الاقوى لبارنه :

الاجرام المعاوية حية ، ناطقة ، متممة لارادة الله .

٥

١) اي ماهية .

٢) رسائل الكندي : مصر : ص ٣٣٥-٣٣٦

١٠ - جواهر لا اجسام :

يوجد جواهر ليست جسمانية هي النفوس .

١١ - القول في النفس ، المختصر من كتاب ارسطو وفلاطون وسائر الفلسفه :

في روحانية النفس ، وخلودها ، وعلمها ، ومصيرها .

١٢ - كلام في النفس مختصر وجيز :

صفحتان قارن فيها الكندي بين ارسطو وافلاطون في مسألة اتصال النفس بالبدن ، واستخلص ان لا خلاف بين الفيلسوفين .

١٣ - ماهية النوم والرؤيا :

النوم والرؤيا نوعان من التفكير اعمق من تفكير اليقظة .

١٤ - رسالة في العقل :

عرض لرأي القدماء في العقل ، سيا لرأي ارسطو وافلاطون .

فلسفة

نشأ الكندي في البصرة ، وعاش في بغداد ، يومَ كان الفكر
مزدهراً في هاتين المدينتين ، ويومَ كانت الترجمة عن اليونانية في اوجها ،
والمعزلة في أقصى سلطتها ، والخلفاء يدفعون إلى الترجمة ويوذبون تعليم
المعزلة ، فلم يكن بدَّ من أن يتَأثرُ الكندي بذلك الجلو الفكري
المحوم ، وان يسلك سبله ، ويندفع في تياره .

وان نظرة سريعة على ما خلفه الكندي من كتب ترينا تفَضَّحُ هذا
المقل لكل الوان العلم والفلسفة ، وتأليفه في مختلف ثوابي الفكر .
لقد ألق في الموسيقى والهندسة والحساب والفلك والطب والتنجيم ، كما
ألق في النطق والنفس والآلهيات والسياسة . ولقد استقى الكندي
من قدماء اليونان ، من أقليدس وبطليموس وبقراط ، ومن سقراط
وافلاطون وارسطو .

على ان اكثُر تأليف الكندي مفقود ، وما نعرفه مطبوعاً من كتبه
يبحث في شتى المسائل ، دون استثناء . وانا نوجز اراءه في المسائل
التالية : الله - النفس - الاخلاق .

الله

من السهل ان تجد ، في رسائل الكندي ، اقراراً بوجود الله كعملة
اولى لوجود العالم ، والحركة فيه ، وللنظام الشائع في كائناته . ومن السهل
كذلك ان ترى الكندي يعدد صفات الله ، ويبالغ في التعريف والتقصيل .
على انك تلقي اكثُر من عقبة حين ت يريد ان تتبين البراهين ، وان
تثيرها ، وان تدرج من برهان الى آخر .

ومن ذاك اليك ما استخلصناه كبراهين على وجود الله ، ثم اهم ما اثبت الكندي له من صفات :

١ - وجود الله

يمكن رد براهين الكندي على وجود الله الى اثنين :

١ - العالم حادث فله محدث :

لا يكون الشيء علة ذاته^(١) . فكل ما لم يكن ثم كان - كل حادث - له علة احدثه .

والحال ان العالم الجماني حادث . فله علة هي الله .

اما برهان حدوث العالم فهذا : لو كان زمان وجود العالم قدماً لا نهاية له ، لما امكن ان ينتهي الى الزمان الحالى ، لانه لا يمكن عد مدادات لا نهاية لها . والحال انه انتهى الى الزمان الحالى . اذا زمان وجود العالم متناه ، والعالم حادث .

٢ - في العالم تدبير متقن فله مدير حكيم :

في العالم تدبير اشبه بتدبير النفس للبدن ، مما دفع القدماء الى وصف الانسان بأنه عالم صغير .

والذى يرى ترتيب هذا العالم ، وفعل بعضه في بعض ، واتقان هياته على الامر الاصلح ، يستدل على وجود مدير حكيم رتب كل ذاك ودبر .

٣ - صفات الله

نكتفي بما اثبت الكندي لله من صفات بالصفات التالية :

٤ - الله ازلي :

(١) المختارات : ص ٣٦

ليس الله حادثاً والا لكان من العالم ، معلولاً . اذا هو ازلي ، غير معلول ، غير قابل للاستحالة ، تام .

٢ - الله واحد وبسيط :

لا شريك لله ، ولا تركيب فيه ، فهو وحدة محض خالد من كل انواع الكثرة .

ان الالهة لا تعدد الا اذا انفصلت بعضها عن بعض بحال ما ، وبالتالي الا اذا تركبته ما هو عام لها ، وما هو خاص فاصل . وطالع ان لكل مركباً مركباً ، فلا ينقى الله العلة الاولى .
ويحتاج الله كذلك الى مركب اذا كان فيه نوع من التركيب ، اي تركيب كان .

اذا الله واحد وبسيط .

٣ - والله صفات اخرى لا يثبتها الكندي ببراهين ، منها انه حي ، حكيم ، رحوم ، واق من الزلل ، ممسك كل ما ابدع ، تام القدرة ، فائض الجود ...

العالم

نرى مع الكندي :

٤ - اجزاء العالم

في وسط العالم الارض ، ثم تتوالي افلاك بعضها في جوف بعض من فلك القمر الى الفلك الاقصى المحيط ، طبقاً لما علم بطليموس ، وسيعلم اكثراً فلاسفة العرب .

يتكون ما تحت القمر من اربعة عناصر ، الماء ، والهواء ، والتراب ، والنار ، ويكون كل جسم من هيولى وصورة .
عالم ما تحت القمر خاضع للتغير ، للكون والفساد ، اما عالم الافلاك فلا فساد فيه .

٢ - نهاية العالم جرمًا وزمانًا وحركة

كل ما في العالم متناهٍ ، ولا شيء فيه لا نهاية له بالفعل . ما لا نهاية له بالقوة فقط جائز .

جرم العالم متناهٍ : اذا فرضنا جرم العالم لا نهاية له ، وفصانا منه جزءاً متناهي العظم ، فالباقي منه اما متناهٍ واما غير متناهٍ . فان كان الباقي متناهياً ، فإنه ان اعدنا اليه الجزء المتناهي ، المفصل عنه ، يظل متناهياً . وان كان الباقي غير متناهٍ ، فما يكون حاله ان اعدنا اليه الجزء المفصل ؟ انه لا يمكن ان يصبح اكبر مما كان في الاصل – والا لا يصلح ما لا نهاية له اكبر مما لا نهاية له ! – ، ولا يمكن ان يظل مساوياً لما كان ، وقد زيد عليه جزء . ففرض جرم العالم لا نهاية له يؤدي الى متناقضات ، وبالتالي هو مستحيل .

وزمان العالم متناهٍ – كما رأينا – والا لما امكن ان يتبعي الى الزمان الحاضر ، وبالتالي العالم حادث .

وحركة العالم متناهية : لا حركة دون جرم ، وجرم العالم حادث ، فالحركة كذلك . بتعبير آخر : الزمان مدة تدها الحركة ، والزمان حادث ، فالحركة كذلك .

الجسم والزمان والحركة لا يسبق بعضهم بعضاً .

٣ - ابداع العالم

ما صدر العالم عن الله بتسلسل وفيض ، ولا صنع الله العالم من مادة غير معلولة . ان الله ابدع كل شيء من لا شيء بقوله له : كن فكان .

وبقاء هذا العالم - مثل وجوده - رهن المشيئة الالهية .

النفس

بحث الكندي في النفس مقتضب وجيذ ، مأخذوذ - على قوله - من الفلاسفة القدماء . كافلاطون وارسطو وغيرهما .
وهذا اهم ما نجد :

١ - بساطة النفس

قوى النفسيّة ثلاثة : غضبية ، وشهوّية ، ونطقيّة . الغضب والشهوّة يعوضان على الحي ما تخلّل من جسمه ، ويصلحان ما اختل ، اما النطق فلتام فضيلته^{١)}

ويرهان الكندي على وجود قوة نطقيّة في الإنسان هو هذا : يعرض للإنسان غضب او شهوّة ، فيمكّن فيه ما يقاوم الغضب ، ويكمّل الشهوّة . اذاً في الإنسان قوة غير الغضب والشهوّة ، هي نفس بسيطة روحية ، نسبتها من الله نسبة ضياء الشمس من الشمس .

٢ - معرفة النفس

قوى الادراك ، عند الكندي ، هي :

١) رسائل الكندي ص ٢٥٥

- ١ - الحواس الحس : تناول صور المحسوسات محمولة في طينتها .
- ٢ - المصورة : او الفنطاسيا او التوهم او التخيّل : لها علان : تناول صور المحسوسات مع غيبة طينتها ، وتركيب منها صوراً جديدة ، كأن تركب ، مثلاً ، انساناً طائراً^{١)} .
- ٣ - العقل : نظرية الكندي في العقل ملتبسة غامضة . وهذا ما نرى عنده من عقول :
 - ١ - العقل بالقوة :

هو قدرة في النفس على الادراك ، قبل اي ادراك .
 - ب - العقل بالفعل :

هو العقل بالقوة ، وقد ادرك الكليات - اي انواع الاشياء . واجناسها - فاصبحت قنية في النفس تستعملها متى شاءت ، شأنها شأن الكتابة في الكاتب .
 - ج - العقل الظاهر :

هو العقل حين يدرك الكليات اولاً ، او حين يستعيدها بعد اقتناها .
 - هـ - العقل وقت ادراكه الكليات ، شأنه شأن الكاتب حين يكتب لاول مرة ، او يراجع ما كتب .

ومن الواضح ان هذه المقول ليست ثلاثة عقول متيبة ، بل هي عقل واحد في النفس : قبل ان يدرك المقولات ، وفي حالة اقتناه لها اقتنا ، عادياً ، وقت ادراكه بالفعل اولاً او استعادتها ثانية .
- د - العقل المستفاد :

هو الكليات نفسها ، اي المقولات التي يدركها عقل الانسان .

١) رسائل الكندي : ٢٩٥، ٢٩٦، ١٦٧، ١٠٦

وتسمية الكليات عقلاً تسمية تدعو الى الالتباس ، والأولى ان تسمى
المقول المستفاد .^{١)}

هـ - العقل بالفعل ابداً :

يصفه الكندي ، في رسالته في العقل ، بانه « علة واول جمجمة
المقولات والقول الثاني » ، وبانه هو الذي يخرج العقل بالقوة من القوة
إلى الفعل^{٢)} .

(١) انظر رسائل الكندي ص ٣٠٢ حيث جاء : « وكذلك معمولها (النفس)
فانه ليس غير القوة منها المسماة عقلاً . »

(٢) ان الكندي ، في كتاب الفلسفة الاولى ، ينسب الى العقل المستفاد - اي
المقولات - اخراج النفس العاقلة من القوة الى العقل ، اي ما ينسبة - في رسالته
في العقل - الى العقل بالفعل ابداً ، او العقل الاول . ونرى ان ثورقاً بين القولين
هكذا : ان الكندي يجعل من العقل الاول علة المقولات ، فهو اذًا - بواسطة
هذه المقولات - يخرج العقل الانساني من القوة الى الفعل .

بقي ان نعرف ما هو هذا العقل الاول .

ليس هذا العقل قوة في النفس ، لأن الكندي يذكره كعقل مستقل ، ويجعل
منه علة لجميع المقول الشواني . وارى ان نفهم بالقول الثاني المقول الظاهر
(المختارات : ص ٥٦) .

وابيس هذا العقل انه نفسه ، على الارجح ، لأن الكندي يرفض ان يكون
الله عقلاً ، ثلا يكتثر بتكتير مقولاته ، هو الواحد الحاضر . (الفلسفة الاولى
ص ١٥٥، ١٦٠) .

وابيس هذا العقل العقل الفعال ، كما ورد في نظرية الغيض عند الفارابي و ابن سينا ،
لان الكندي لا يقول بالغيض .

هو ، على ما نعتقد ، عقل مفارق . وقد لا يكون للKennedy نفسه فكرة دقيقة
عنه ، بل اخذه عن اسطور الفاثل بعقل فتال شبيه بهذا العقل . ان شراح
اسطور اختلفوا - وما يزالون - في تحديد طبيعة هذا العقل ، وليس شراح الكندي
بافق ترددًا واختلافًا .

٣ - ازدواجية

النوم هو ترك استعمال النفس للحواس ، وبالتالي تفرغ النفس الى التفكير : ان النفس لا تنام ، بل النوم نوع من التفكير اصفي واعق . والنفس ، في نظر الكندي ، علامة بالطبع ، ولهذا تستطيع ان ترى الاشياء قبل كونها ، وان تبني لها . ان الكندي لا يشرح بوضوح هذا العلم بالطبع للنفس ، هل هو علم مكتسب ام اصيل . ولكن فكرته تبدو مستوحاة من افلاطون ، من قوله بعلم للنفس غير مكتسب ، دون ان يقول الكندي بنظرية المثل ، وجود النفس قبل البدن .

ويرى الكندي ان الرؤيا تربينا الاشياء كما هي ، او تربينا اضدادها ، او تعبر عنها بالرمز ، فترمز عن السفر ، مثلاً ، بان تربينا ذاتنا طائرة ويأتي هذا الاختلاف من تفاوت الاستعداد في الحقيقة قبول انباء النفس ، ومن قوة النفس على اظهار انبائها .

٤ - النبوة

ما النبوة ؟ وما علاقتها بالفلسفة ؟

بين الفيلسوف والنبي فرقان :

اولاً : الفيلسوف يصل الى الحق ببحث شاق طويلاً ، اما النبي فيصل اليه بذر الهوى ، دون جهد او تحمل . هو الله يظهر نفس النبي وينيرها ، ومتي ظهرت النفس علماً الغيب ، واتت بالوحي . ثانياً : تعبير النبي اوضح بياناً ، واقوى ايجازاً .

اما من حيث المدرك فلا فرق بين الفيلسوف والنبي : ان كل ما علمه محمد موجود بالمقاييس العقلية ، وان لذوي الالباب ان يتأنوا بكلام النبي . كل خلاف بين الدين والفلسفة هو خلاف بالظاهر فقط : اول الوحي يتفق والفلسفة .

هذا يرى الكندي ان درس الفلسفة امر مباح . ولما كان الفرد عاجزاً عن نيل الحق والاحاطة به ، وجب علينا ان نشكر القدماء على ما خلقو ، وان نأخذ عنهم ما ترکوا من فلسفة .
ويحمل الكندي على عامة الدين ، المتاجرين بالدين ، الالاهين عن الفلسفة : ألسنا بالفلسفة نعلم الله ، ونعرف الفضيلة ؟

٦ - مصدر النفس

النفس ، في نظر الكندي ، خالدة .
اما سعادتها ففي ما ترى وتعلم ، اذا فارقت البدن : انها تعلم ما يعلم الله ، او دون ما يعلم قليلاً .
على ان هذا العلم لا يتم لها الا اذا كانت معرضة عن الشهوة والغضب ، طاهرة نقية ، شأنها شأن المرأة لا ينعكس فيها نور الشمس الا اذا كانت صقيقة .

ويورد الكندي قوله لافلاطون خلاصته ان النفس ، اذا تركت البدن وهي غير طاهرة ، صارت من فلك الى فلك ، من فلك القسر الى فلك عطارد ، الى غيرهما من الافلاك ، تهذب في كل منها مدة من الزمن ، حتى اذا صارت الى الفلك الاعلى نقيت غاية النقاء ، وارتقت الى عالم العقل ، وعلمت كل شيء . وهذا يعني – استنتاجاً – ان لا خالد في الشقا ، للنفس الشريرة .

٧

اما معاد الجسد فيثبته الكندي ضمناً ، اذ يستشهد بآية من آيات القرآن القائلة به ، ويطنب في اطرا ما في هذه الآية من بيان وامجاز^{١)} .

٨

والانسان بعد ، في هذه الحياة ، سريع الزوال ، وعبر سهل .

١) المختارات : ص ٧٣

الافتخار

يدعو الكندي الى الزهد في المحسوس ، والاعراض عن الشهوة ،
والتحلّي بالفضيلة .

والفضائل اربع : الحكمة ، والنجدة ، والغنة ، والعدل .

الحكمة علم الاشياء بحقائقها ، واستعمال ما يجب من هذه الحقائق .
والنجدة الاستهانة بالموت في اخذ ما يجب ، او دفع ما يجب . والغنة تناول
الاشيا ، الضرورية للبدن على قدر الحاجة . والعدل ان تزيد ما يجب ، ولا تجور .
هذه الفضائل الاربع اصول ، ومنها تتشعب باقي الفضائل .

والفضيلة وسط ، طرفاها رذائل : النجدة ، مثلاً ، وسط بين
الظهور والخفاء .

نظرة عامة

نجد ، عند الكلبي ، قضايا اساسية اخذها عن اليونان ، ونظريات كثيرة رددتها فلاسفة العرب . واليك بمجاز اهم هذه القضايا والنظريات :

- ١ - يتكون كل جسم من هيولى وصورة .
- ٢ - العلل اربع : عنصرية ، وصورية ، وفاعلية ، وقافية .
- ٣ - كل كائن اما بالفعل اواما بالقوه . لا يخرج كائن من القوه الى الفعل الا تحت تأثير آخر بالفعل . وما هو بالفعل ابدا اقدم .
- ٤ - لا يكون الشيء علة ذاته - وبالتالي لكل حادث علة - ولا علة المتحرك متجركا .
- ٥ - يستحيل ما لا نهاية له بالفعل - زماناً كان او جسماً - ، ويحيوز بالقوه .
- ٦ - الله علة العالم ، ومديره . وهو اذلي ، بسيط ، تم .
- ٧ - تكون الاجسام الارضية من عناصر اربعة ، ويكون العالم من افلاك بعضها في جوف بعض . والعالم حادث^(١) ، متناهي جرم الدهاء ، صدر عن الله خلقاً لا فيضاً .
- ٨ - النفس بسيطة ، خالدة ، سعادتها في العلم . علم النفس رهن طهرها : علم الغيب ، وعلم الرؤى ، وعلم النبوة ، وعلم الحياة الأخرى . والعقل في المعرفة انواع . وتعود النفس الى جسمها بالبعث^(٢) .

(١) انكر اكثر فلاسفة العرب حدوث العالم ، وقالوا يقده .

(٢) انكر اكثر فلاسفة العرب بعث الاجساد .

٩ - اصول الفضائل اربعة ، والفضيلة وسط بين طرفين .
 وهكذا يكون الكلندي اول فيلسوف عربي ورد من الفكر اليوناني
 اهم نظرياته ، وقال باهم قضيائه ، فكان من اقى بعده هادياً ومنهلاً^{١)} .

١) على ان الكلندي لم يبتعد عن تعلم الاسلام الرسمي ابتعاد لاحقية ، فقال
 بحدود العالم ، وما انكر بعث الاجسام .

مختارات

أَبْنَانِي فِي هَذِهِ الْمُخَاتَرَاتِ النَّصُوصِ وَالرَّسَائِلِ التَّابِعَةِ :

- ١ - الازلي
- ٢ - لا يكون الشيء علة ذاته
- ٣ - الفاعل الحق والفاعل بالمجاز
- ٤ - علة ومدبر
- ٥ - ما هو بالفعل أقدم وعلة
- ٦ - العلل الأربع
- ٧ - وحدة الله وبساطته
- ٨ - رسالة في وحدانية الله وتنامي جرم العام
- ٩ - الزمان حادث
- ١٠ - رسالة في القول في النفس
- ١١ - رسالة في العقل
- ١٢ - العقل المستفاد
- ١٣ - الحسن والمصورة
- ١٤ - الروايا
- ١٥ - الإنسان عالم صغير
- ١٦ - رسالة في حدود الأشياء ورسومها
- ١٧ - فضل القدماء
- ١٨ - ضرورة التأويل
- ١٩ - علم الرسل

الازلي

ان الازلي هو الذي لم يجب ليس هو مطلقاً^١. فالازلي لا قبل كونيا
لحوئته . فالازلي هو لاقوامه من غيره^٢ . فالازلي لا علة له ...
الازلي لا يفسد... .

والاستحالة تبدل ، فالازلي لا يستحيل ، لانه لا يتبدل ، ولا
يتبدل من النقص الى التام ، فالانتقال استحالة ما . فالازلي لا يتبدل
الى قام ، لانه لا يستحيل . والتام هو الذي له حال ثابتة يكون بها
فاضلاً ، والناقص هو الذي لا حال له ثابتة يكون بها فاضلاً . فالازلي
لا يمكن ان يكون ناقصاً ، لانه لا يمكن ان يتبدل الى حال فيكون
بها فاضلاً ، لانه لا يمكن ان يستحيل الى افضل منه ، ولا الى انقص
منه بتة . فالازلي تام اضطراراً .

(من كتاب في الفلسفة الاولى)

الازلي : الذي لم يكن ليس^٣ ، وليس بحتاج في قوامه الى غيره ؟
والذي لا يحتاج في قوامه الى غيره فلا علة له، وما لا علة له فدام ابداً .
(رسالة في حدود الاشياء ورسوها)

١) اي لم يجب عدم وجوده .

٢) اي ليس قوامه من غيره ، بل من ذاته .

٣) ليس : غير موجود .

لَا يَكُونُهُ الشَّيْءُ عَلَى ذَانِهِ

لِيُسْ مُمْكِنًا أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ عَلَةً كَوْنَ ذَانِهِ . . . لَانَهُ لَا يَخْلُو مِنْ
أَنْ يَكُونَ أَيْسًا وَذَانِهِ لِيُسْ ، أَوْ يَكُونَ لِيُسْ أَيْسًا وَذَانِهِ أَيْسًا ، أَوْ يَكُونَ
لِيُسْ وَذَانِهِ لِيُسْ ، أَوْ يَكُونَ أَيْسًا وَذَانِهِ أَيْسًا .
فَإِنْ كَانَ لِيُسْ ، وَذَانِهِ لِيُسْ ، فَهُوَ لَا شَيْءٌ ، وَذَانِهِ لَا شَيْءٌ . . . وَلَا
شَيْءٌ لَا عَلَةٌ وَلَا مَعْلُولٌ ، لَانَ الْعَلَةَ وَالْمَعْلُولُ إِنَّهُمَا مَقْوِلَانِ عَلَى شَيْءٍ . لَهُ
وَجُودٌ مَا . . .

وَكَذَلِكَ يَعْرُضُ أَنْ كَانَ لِيُسْ ، وَذَانِهِ أَيْسًا . لَانَهُ أَيْضًا — اذْهَوْ
لِيُسْ — لَا شَيْءٌ . . . وَلَا شَيْءٌ لَا عَلَةٌ وَلَا مَعْلُولٌ ، كَمَا قَدَمْنَا . فَهُوَ لَا عَلَةٌ
كَوْنَ ذَانِهِ . . .

وَكَذَلِكَ يَعْرُضُ أَنْ كَانَ أَيْسًا ، وَذَانِهِ لِيُسْ^(١) . . .
وَكَذَلِكَ أَيْضًا يَعْرُضُ أَنْ كَانَ أَيْسًا ، وَذَانِهِ أَيْسًا^(٢) . . .
وَمِثْلُ هَذَا أَيْضًا يَعْرُضُ أَنْ كَانَ لِيُسْ ، وَذَانِهِ لِيُسْ^(٣) . . .
فَلَيْسَ يَكُونُ إِذَا أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ عَلَةً كَوْنَ ذَانِهِ .

(كتاب الفلسفة الاولى)

الفاعل بالمعنى والفاعل بالمجاز

ان الفعل الحتني الاول تأييس الآيسيات عن ليس^(٤) .
وهذا الفعل بين انه خاصة لله تعالى الذي هو غاية كل علة . فان

(١) ما هو ليس اي غير موجود لا يمكن ان يكون علة او معلولا .
(٢) ان كان الشيء علة لذاته ، كان غير ذاته ، وكان هو هو ، وهو لا هو ،
وهذا غير عكن .

(٣) ايس : أوجد . الآيسيات : الموجودات . عن ليس : عن لا شيء .

تأييس الآسيات عن ليس ليس لغيره . وهذا الفعل هو المخصوص بالابداع^١ .
فاما الفعل الحقى الثانى ، الذى يلى هذا الفعل ، فهو اثر المؤثر فى المؤثر
فيه . فاما الفاعل الحق فهو المؤثر فيه ، من غير ان يتاثر هو بجنس من اجناس
التأثير . فإذا الفاعل الحق هو الفاعل مفعولاته من غير ان ينفعل هو بتهة .
فاما المنفعل فهو المتأثر من تأثير المؤثر ، اعني المنفعل عن الفاعل .
فإذا الفاعل الحق الذى لا ينفعل بتة هو البارى ، فاعل الكل ،
جل تناوه . واما ما دونه ، اعني جميع خلقه ، فانها تستوى فاعلات
بالجهاز ، لا بالحقيقة ، اعني انها كلها منفعلة بالحقيقة . فاما او لها فمن باريه
تعالى ، وبعضاها عن بعض ، فان الاول منها ينفعل ، فينفعل عن انفعاله
آخر ، ينفعل عن انفعال ذلك آخر ، وكذاك حتى ينتهي الى المنفعل
الاخير منها . فالممنفعل الاول منها يسمى فاعلاً بالجهاز للمنفعل عنه ، اذ
هو علة انفعاله القريبة ، وكذلك الثاني ، اذ هو علة الثالث القريبة في
انفعاله ، حتى ينتهي الى آخر المفعولات . فاما البارى تعالى فهو العلة
الاولى لجميع المفعولات التي بتوسط ، والتي بغير توسط ، بالحقيقة ، لانه
فاعل لا منفعل بتة ، الا انه علة قريبة للمنفعل الاول ، وعلة بتوسط لما
بعد المنفعل الاول من مفعولاتة .

(رسالة في الفاعل الحق الاول النام والفاعل الناقص الذى هو بالجهاز)

علم و مدرِّب

ان في الظاهرات للحواس ، اظهر الله لك الحفیات ، لا وضح الدلالة
على تدبیر مدبر اول ، اعني مدبراً لكل مدبر ، وفاعلاً لكل فاعل ،
ومكوناً لكل مكون ، واولاً لكل اول ، وعلة لكل علة ، لمن كانت
حوائمه الآلية موصولة باضواه عقله ، وكانت مطالبه وجدان الحق . . .

١) الابداع : اظهار الشيء عن ليس (عن رسالة في حدود الاشياء ورسومها) .

ان الله ، جل ثناؤه ، - وهو الانية^١ الحق التي لم تكن لیس ،
ولا تكون لیسا ابداً - لم يزل ولا يزال لیس ابداً ، وانه هو الحي
الواحد الذي لم يتکثر بثة ، وانه هو العلة الاولى التي لا علة لها ، الفاعلة
التي لا فاعل لها ، والمتسمة التي لا متيم لها ، المؤیس الكل عن لیس ،
والصیر بعضه بعض اسباباً وعلالاً . . .

ان في نظم هذا العالم وترتيبه ، و فعل بعضه في بعض ، وانقاد
بعضه البعض ، وانقان هيته على الامر الاصلح في كون كل کائن ، وفساد
كل فاسد ، وثبتات كل ثابت ، وزوال كل زائل ، لاعظم دلالة على
انهن تدبیر - ومع كل تدبیر مدرر - وعلى احکم حکمة ، ومع كل
حکمة حکیم . . .

(الايانة عن العلة الفاعلة القریبة للكون والفساد)

ما هو بالفعل افراد وعلمه

ان كانت الاشياء . . . إما شيئاً بالفعل ابداً ، واما بالقوة ابداً ،
واما بالقوة ثم يخرج الى الفعل ،
وكان الذي بالفعل ابداً اقدم من الذي بالقوة ثم خرج الى الفعل ، لانه
علة خروجه الى الفعل . . . ،
فاذن ان كل شيء خارج من القوة الى الفعل فهو ما تحت الكون ،
اذ هو خارج ابداً من حال قد كانت له بالقوة .

^١ الانية : معنى هذه الكلمة واضح تقرباً وهو يدل على وجود الشيء ،
وحقیقته . على ان ضبط شكلها ، واصلها امر مختلف عليه . ففي ما خص الشكل ،
ضُبطت هذه الكلمة آیة ، وإنية . وفي ما خص الاصل ، قيل اخا من إن "العرية" ،
او من إن ، وقيل اخا من النافذ اليوناني ٧ (أي : اي الوجود او الموجود) ،
او ٧ (أون : اي الكائن) .

وان كان شيء بالفعل ابداً ، لم يكن بالقوة ، فهو الذات التي لا تقع تحت الكون .

فاذن ما ليس تحت الكون علة خروج ما تحت الكون الى الكون الذي كان له بالقوة .

(الابانة عن سجود الجرم الاقصى وطاعته غـ)

العلل اربع

ان العلل الطبيعية اما ان تكون عنصرية ، واما صورية ، واما فاعلة ، واما تمامية .

اعني بالعنصرية عنصر الشيء الذي منه يكون الشيء ، كالذهب الذي هو عنصر الدينار الذي منه كون الدينار .

واعني بالصورة صورة الدينار التي يتحادها بالذهب كان الدينار . واعني بالفاعلة صانع الدينار . . .

واعني بال تمامية ما له أحد الصانع صورة الدينار بالذهب ، التي هي المنفعة بالدينار ، ونيل المطلوب به .

(الابانة عن الملة الفاعلة القريبة للكون والفساد)

وهرة الله او باطنه

ان الواحد الحق ليس هو عنصر ، ولا جنس ، ولا نوع ، ولا شخص ، ولا فعل ، ولا خاصة ، ولا عرض عام ، ولا حركة ، ولا نفس ، ولا عقل ، ولا كل ، ولا جزء ، ولا جميع ولا بعض ، ولا واحد بالإضافة الى غيره ، بل واحد مُرسَل . . .

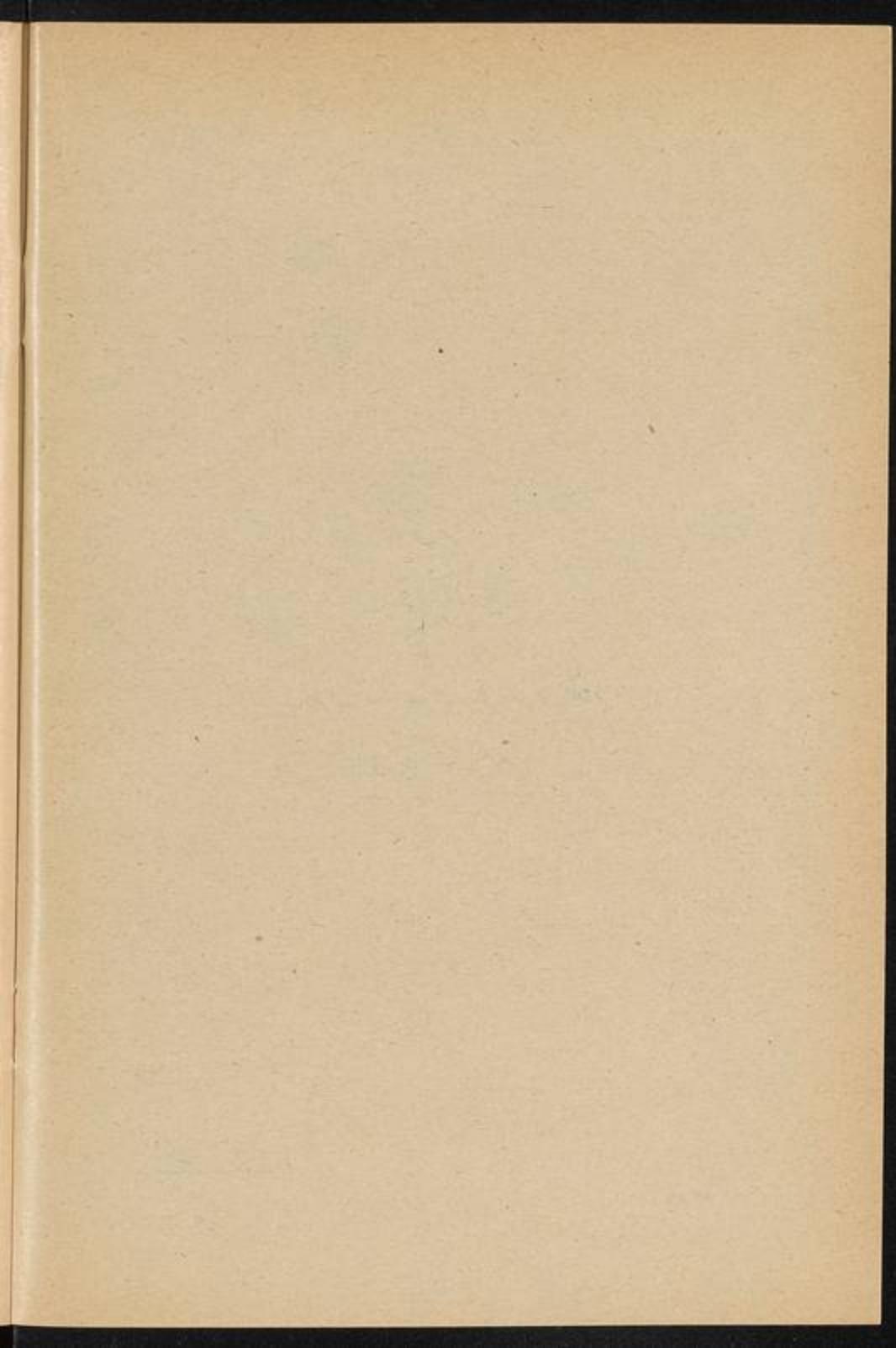
فالواحد الحق اذن لا ذو هيولى ، ولا ذو صورة ، ولا ذو كمية ،
ولا ذو كيفية ، ولا ذو اضافة ...
 فهو اذن وحدة فقط محض ، اعني لا شيء غير وحدة ، وكل واحد
غيره فتكتثر .

(الفلسفة الاولى)

رسالة

في وعذابه الله ونهاهي بحرم العالم
إلى علي به الجرم^{١)}

١) هو شاعر خراساني الاصل، فرّ به المتنوكل مدة ثم نفاه، نوفي عام ٥٤٦٩=٨٦٣



١)
غمبر

حاطك الله ، ايتها الاخ الحسود ، بصنعه ، وسدّدك بتوفيقه ، وحرسك
بما فيته من كل زلل ، ووفقك بتطوله لازكي عمل ، وبذلك من معرفته
قرار رضوانه ، ومستحق احسانه .

فهمتُ ما سألتَ من وضع ما كنتَ سمعتني اووضحه بالقول - من وحدانية
الله عزَّ ذكره ، ومن تناهي حجم العالم ، وامتناع شيء بالفعل من ان يكون
لا نهاية له ، وان ما لا نهاية له انا هو موجود في القوة لا في الفعل - في كتاب
يكون حافظاً على فكرك صورة القول الى استحكام الفهم ، وان اوجز
لك القول في ذلك ايجازاً لا يكون معه تفريق للفهم ، ولا حاجز عن حفظ .
وان اسأل واهب الحيزارات ، وقابل الحسنان ، ان يوفق ذلك لمطابقتك ،
وينحسن به هدايتك الى سبيل الرشاد ، البعيدة من اهوال المعاذ .
ولعمري ما هذا الموضوع يستغنى عن الاطالة والاطناب الا عند من بلغ
درجتك من النظر ، وحسن المعتبر ، وأيد بمثل فهمك ، وحرس من
الميل الى الهوى مثل عزملك .

وقد رسمت لك في ذلك على قدر الطاقة ، على شرائطك ، ولم
آلك في ايضاح ذلك جهداً . فكن به سعيداً ، وقرب به حميداً ، اسعدك
الله في ديناك وآخرتك ، واجل لك جميع عوائقك .

) العنايرين ، داخل الرسائل ، من وضمنا .

المقدمات الاولى

وهذا مبدأ قولنا من مطابقتك :

ان المقدمات الاولى الواضحة ، المعقولة بغير توسط :

- أنَّ كُلَّ الاجرام ، التي ليس منها شيء اعظم من شيء ، متساوية.
- والمساوية ، ابعد ما بين نهاياتها واحدة بالفعل والقوة .
- وذو النهاية ليس لا نهاية له .
- وكل الاجرام المتساوية ، اذا زيد على واحد منها جرم ، كان اعظمها ، وكان اعظم مما كان من قبل ان يزداد عليه ذلك الجرم .
- وكل جرمين متناهيين العظم ، اذا جمعا ، كان الجرم الكائن عنهما متناهي العظم ، وهذا واجب في كل عظم ، وكل ذي عظم .
- وان الاصغر من كل شيئين متجانسين بعد الاعظم منها ، او بعد بعضه .

نافي الطرم

فإن كان جرم لا نهاية له ، فإنه اذا فصل منه جرم متناهي العظم ، فإنباقي اما ان يكون متناهي العظم ، واما لا متناهي العظم .

فإن كانباقي متناهي العظم ، فإنه ، اذا زيد عليه المفصل منه ، المتناهي العظم ، كان الجرم الكائن عنهما متناهي العظم ؛ والذي كان عنهما هو الذي كان قبل ان يفصل منه شيء ، لا متناهي العظم ، فهو ادن متناه لا متناه ، وهذا خلاف لا يمكن .

وان كانباقي لا متناهي العظم ، فإنه اذا زيد عليه ما أخذ منه ، صار اعظم مما كان قبل ان يزداد عليه ، او مساوياً له .

فإن كان اعظم مما كان فقد صار ما لا نهاية له اعظم مما لا نهاية

له^{١)} ... وهذا خلف لا يمكن ، فليس أحدهما أعظم من الآخر .
وان كان ليس باعظم ما كان ، قبل ان يزداد عليه ، فقد زيد على
جرم جرم فلم يزد شيئاً ، وصار جميع ذلك مساوياً له وحده ، وهو
وحده جزء له ، فاجزء مثل الكل . هذا خلف لا يمكن .
فقد تبين انه لا يمكن ان يكون جرم لا نهاية له .

محمول المتناهي مناء

والاشياء المحموله في المتناهي متناهية اضطراراً . وكل محمول في
الجسم من كم او مكان ، او حرارة ، او الزمان الذي هو فاصل
الحركة ، وجملة كل ما هو محمول في الجسم فتنام ايضاً ، اذ الجرم متناه .
فجرم الكل متنام ، وكل محول فيه ايضاً .

محوز ماء زرابة له بالفورة

واذ جرم الكل يمكن ان يزداد فيه بالوهم زيادة دافعة - ان
يتوجه اعظم منه ، ثم اعظم من ذلك دافعاً ، فانه لا نهاية في التزيد
من جهة الامكان - فهو بالقوة لا نهاية له ، اذ القوة ليست شيئاً سوى
امكان ان يكون الشيء المقول بالقوة . وكل ما في الذي لا نهاية له
بالقوة فهو ايضاً بالقدرة لا نهاية له .

متاهي اطراف والزماء

ومن ذلك الحركة والزمان - فان الذي لا نهاية له انا هو في القوة ،

١) اهذا هنا نحو خمسة اسطر مضطربة التعبير تدور حول اثبات بدجيات .

فاما في الفعل فليس يمكن ان يكون شيء لا نهاية له ، كما قدمتنا ،
وان ذلك واجب .

فقد اتضح انه لا يمكن ان يكون زمان بالفعل لا نهاية له
والزمان زمان جرم الكل ، اعني مدة . فان كان الزمان متناهياً ، فان
انية الجرم متناهية ، اذ الزمان ليس موجود .

ولا جرم بلا زمان ، لان الزمان انتا هو عدد الحركة ، اعني انه
مدة تعددتها الحركة . فان كانت حركة كان زمان ، وان لم تكن
حركة لم يكن زمان .

والحركة انتا هي حركة الجرم ، فان كان جرم كانت حركة ،
وان لم يكن جرم لم تكن حركة^(١) .

والجسم جوهر ذو ابعاد ثلاثة ، اعني طولاً وعرضًا وعمقًا ، فهو
مركب من الجوهير الذي هو جنسه ، ومن الابعاد التي هي فصولة . وهو
المركب من هيولى وصورة .

والتركيب تبدل الاحوال ، التي هي لا تركيب . فالتركيب حركة .
وان لم يكن حركة لم يكن التركيب .

والجسم مركب ، كما اوضحتنا . فان لم يكن حركة لم يكن جرم .
فالجسم والحركة لا يسبق بعضها بعضاً .

وبالحركة الزمان ، لان الحركة تبدل ما ، والتبدل عاد مدة التبدل ،
فالزمان مدة تعددتها الحركة .

ولكل جرم مدة هي الحال هو فيها^(٢) انية ، اعني الحال التي هو فيها .
والجسم لا يسبق الحركة ، كما اوضحتنا . والجسم لم يسبق مدة تعددتها الحركة .

(١) اهلنا نحو ستة اسطر فصل فيها الكندي انواع الحركة ، فضفت الصلة بين
مقدمات البرهان .

(٢) يعود هو الى جرم ، والضمير في فيها الى الحال .

فإن جرم والحركة والزمان لا يسبق بعضها بعضاً في الآية، فهي مما .

نهاي الزمان ايضأ وحدود العالم

كل تبدل بفاصلاً مدة ، والمدة المقصولة هي الزمان .
و قبل كل فصل من الزمان فصل ، الى ان ينتهي الى فصل ليس
قبله فصل ، اي الى مدة مقصولة ليس قبلها مدة .
ولا يمكن غير ذلك . فان امكن ذلك^(١) ، فان خلف كل فصل
من الزمان فصلاً بلا نهاية . فاذن لا ينتهي الى زمان مفروض ابداً ،
لأن من لا نهاية في القدم الى هذا الزمان المفروض مساواً مدته للدورة من
الزمان المفروض متضاداً في الازمة الى ما لا نهاية له .
وان كان من لا نهاية الى زمن محدود معلوم ، فان من ذلك الزمان
المعلوم الى ما لا نهاية من الزمان معلوماً^(٢) .

فيكون اذن لا متناهياً متناهياً ، وهذا خلف لا يمكن البتة^(٣) .
وايضاً ان كان لا ينتهي الى الزمن المحدود حتى ينتهي الى زمن
قبله ، وكذلك بلا نهاية - وما لا نهاية له لا تقطع مسافته ، ولا يُؤتي
على آخرها ، فإنه لا يقطع ما لا نهاية له من الزمن حتى ينتهي الى
زمن محدود بتة ، والانتهاه موجود - فليس الزمان متضلاً من لا نهاية ،

١) اي غير ذلك .

٢) معنى الجملة: ان كان الزمان المستند من القدم الى زمن محدود زماناً معلوماً ،
فان الزمان المستند من هذا الزمان المعلوم الى القدم زمان معلوم ايضأ .

٣) برهان الكندي في هذا النص غامض ، وهذا على ما نرى ، ملخصه : اذا
سلمنا بقدم ازمان ، بزمان لا نهاية له في الماضي ، لا يمكن القول بان هذا ازمان
نهاي وبلغ زماناً ما مفروضاً من الازمة . وحال انه بلغ هذا ازمان المفروض
اداً ازمان غير قديم ، متناه .

بل من نهاية اضطراراً . فليست مدة الجرم بلا نهاية .
وليس يمكن ان يكون جرم بلا مدة ، فانية الجرم ليست لا نهاية
لها ، وانية الجرم متناهية . فيمتنع ان يكون جرم لم ينزل . فالجرم اذا
حدث اضطراراً ، والحدث محمد الحدث ، اذ الحديث والحدث من
المضاف ، فللاكل محمد اضطراراً عن ليس .

المحدث واعد

والحدث لا يخلو ان يكون واحداً او كثيراً .
فان كان كثيراً ، فهم مرکبون ، لان لهم اشتراكاً في حال واحدة
جميعهم ، اي لانهم اجمعين فاعلون - والثي . الذي يعمه شيء . واحد
اما يتذكر ان ينفصل بعضه من بعض بحال ما ، فان كانوا كثيراً فيهم
فصول كثيرة ، فهم مرکبون بما عنهم ومن خواصهم^(١) . . .
والمرکبون لهم مرکب ، لان مرکباً ومرکبها من باب المضاف .
فيجب اذن ان يكون للفاعل فاعل . فان كان الواحد ، فهو الفاعل
الاول . وان كان كثيراً ، وفاعل الكثير كثير دافعاً ، وهذا يخرج بلا
نهاية . وقد اتضح بطلان ذلك ، فليس للفاعل فاعل .

فاذن ليس كثيراً ، بل واحد غير متكرر ، سبحانه وتعالى . عن
صفات الملحدين علوّاً كبيراً ، لا يشبه خلقه ، لان الكثرة في كل الخلق
موجودة ، وليس فيه بتة ، ولا انه مبدع وهم مبدعون ، ولا انه
 دائم وهم غير دائرين ، لان ما تبدل تبدل احواله ، وما تبدل فهو
غير دائم .

(١) اهدنا جملة غامضة لا يضر اهداها بالمعنى .

فَاعْمَلْ

فلا يلاحظ هذه المعاني ، ايهما الا الخ المحمود ، بعين عقلك ، واقتتنها حلياة
نفسك الزكية ، وصابر نفسك على اقتداء آثارها الحفية ، تفضل بك
الى سعة اوطن المعرفة ، ولين مرتفق الراحة ، وظل رحمة مبدع
الرحمة .

واياه اسأل ان ينير فهيك ، ويروسع علمك ، ويسعد بذلك
عواقبك .

الزمانه عادت

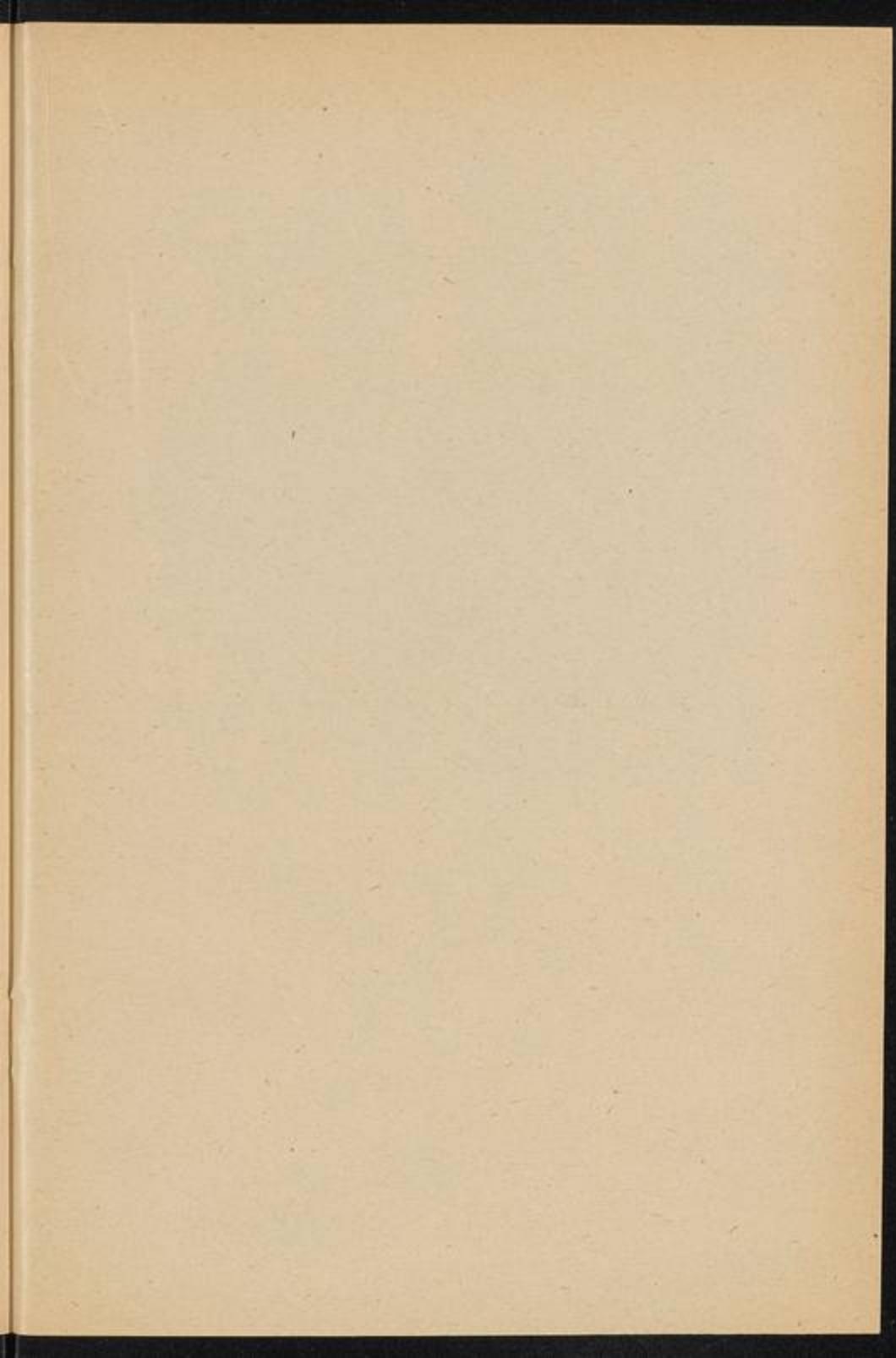
ليس يمكن ان يكون زمان لا نهاية له في البدء ، لانه ان كان زمان لا نهاية له في البدء لم يتناه الى زمان مفروض بتة ، لانه ، ان اى من لا نهاية الى زمان مفروض ، فن لا نهاية الى زمان مفروض معدود اجزاء متساوية من الزمان . فان كان من لا نهاية في الزمان الى زمان مفروض معدودا ، فن الزمان المفروض متضاعدا في الايام التي سلفت مساو من لا نهاية الى الزمان المفروض ، لان من لا نهاية الى الزمان المفروض مُقبلًا هو الزمان بعنه الذي هو من المفروض الى ما لا نهاية راجعا . فاذن المعدود ، المساوي لمعدود متناه ، متناه ، لان الاعداد المتساوية هي التي لا يزيد بعضها على بعض ولا وحدانية واحدة . فاذن الزمان الذي لا نهاية له متناه ، وهذا خلف لا يمكن . فاذن اية الزمان متناهية^{١)} .

وقد اثبأنا ان الزمان والحركة والجسم لا يسبق بعضها بعضا في الانية ، فاذن لا الجسم ولا الحركة ، ولا الزمان اذية .
 (في ماهية ما لا يمكن ان يكون لا خاتمة ، وما الذي يقال
 لا خاتمة له)

١) خلاصة البرهان هي هذه : لو كان ازمان لا خاتمة له في الماضي لما اتيه الى زمان مفروض ، لما اتيه ، مثلا ، الى الزمن الحاضر ، لان ما لا خاتمة له لا يتناهى .

رسالة

في الفول في النفس ، المختصر من كتاب ارسطو وافيد طوره
وسائل الفلسفة



غابر المساله

سددك الله بدرك الحق ، واعانك على نيل مستوعراته .
 انه سالت ، اسعدك الله بطاعته ، ان اختصر لك قوله في النفس ،
 وآتي على القافية التي اليها جرى الفلسفه في ذلك ، مع اختصار الكتاب
 ارسطو في النفس .
 ولست آلو جيداً في استعمال البلوغ الى محابتك ، والمبادرة الى ما
 سالت ، بتلخيص كافيه ، وفحص شافيه ، ان شاء الله تعالى ، وبه
 القوة ، فاقول :

باطنه النفس

ان النفس بسيطة ، ذات شرف وكمال ، عظيمة الشأن ، جوهرها
 من جوهر الباري^{١)} ، عز وجل ، كقياس ضياء الشمس من الشمس .
 وقد بين^{١)} ان هذه النفس منفردة عن هذا الجسم ، مبادئه له ،
 وان جوهرها جوهر المي روحاني ، بما يُرى من شرف طباعها ، ومضادتها
 لما يعرض للبدن من الشهوات والغضب .
 وذلك ان القوة الفضية قد تتحرك على الانسان في بعض الاوقات ،

١) بين : اوضح .

فتحمله على ارتكاب الامر العظيم ، فتضادها هذه النفس ، وقنع القلب
من ان يفعل فعله ، او ان يرتكب الغيظ وترته^١ ، وتضطه كا يضبط
الفارس الفرس ، اذا هم ان يجتمع به ، او يمده^٢ . وهذا دليل بين على
ان القوة ، التي يغضب بها الانسان ، غير هذه النفس التي قنع القلب ان
يجري الى ما يهواه ، لأن المانع ، لا محالة ، غير المنوع ، لاته لا يكون
شيء واحد يضاد نفسه.

فاما القوة الشهوانية فقد تتحقق ، في بعض الاوقات ، الى بعض
الشهوات ، فتتكرر نفس العقائية في ذلك انه خطأ ، وانه يؤدي الى
حال ردية ، فتنبع عن ذلك وتضادها . وهذا ايضاً دليل على ان كل
واحدة منها غير الاخرى .

علم النفس بعد الموت رهن طرورها في الحياة

وهذه النفس ، التي هي من نور الباري ، عز وجل ، اذا هي فارقت
البدن ، علمت كل ما في العالم ، ولم يخف عنها خافية .
والدليل على ذلك قول افلاطون ، حيث يقول ان كثيراً من الفلاسفة
الظاهرين القدماء ، لما تجردوا من الدنيا ، وتهاونوا بالأشياء الحسوسه ،
وتفردو بالنظر والبحث عن حقائق الأشياء ، اذكشف لهم علم الغيب ،
وعلموا بما يخفيه الناس في نفوسهم ، وأطلقوا على سرائر الخلق . فإذا
كان هذا هكذا ، والنفس بعد مرتبطة بهذا البدن ، في هذا العالم المظلم
الذي لو لا نور الشمس لكان في غاية الظلمة ، فكيف اذا تجردت هذه
النفس ، وفارقت البدن ، وصارت في عالم الحق ، الذي فيه نور الباري

سبحانه ؟

١) ترة الغيظ : شهرته الاتقام .

٢) يد الفرس : اي يرخي له العنان .

ولقد صدق افلاطون في هذا القياس ، واصاب به البرهان الصحيح .

٥

ثم ان افلاطون اتبع هذا القول بان قال : فاما من كان عرضه ، في هذا العالم ، التلاذد بالمال والمشارب المستحبة الى الحيف ، وكان ايضا غرضه في لذة الجماع ، فلا سبيل لنفسه العقلية الى معرفة هذه الاشياء الشريفة ، ولا يمكنها الوصول الى التشبه بالباري سبحانه .

ثم ان افلاطون قاس القوة الشهوانية التي للانسان بالختير ، والقوة الفضبية بالكلب ، والقوة العقلية التي ذكرنا بالملك ، وقال : من غابت عليه الشهوانية ، وكانت هي غرضه داكثر همه ، فقياسه قياس الختير ؟ ومن غابت عليه الفضبية ، فقياسه قياس الكلب ؟ ومن كان الاغلب عليه قوة النفس العقلية ، وكان اكثراً ادبه الفكر والتسيير ومعرفة حقائق الاشياء . والبحث عن غوامض العلم ، كان انساناً فاضلاً ، قريب التشبه من الباري سبحانه ، لأن الاشياء التي تجدها للباري ، عز وجل ، هي الحكمة والقدرة والعدل والخير والجميل والحق ، وقد يكن للانسان ان يدبر نفسه بهذه الحيلة ، حسب ما في طاقة الانسان ، فيكون حكيمًا ، عدلاً ، جوداً ، خيراً ، يؤثر الحق والجميل^{١)} .

فإن النفس ، على رأي افلاطون وجلة الفلاسفة ، باقية بعد الموت ، جوهراً كجوهر الباري ، عز وعلا ، في قوتها – اذا تجردت – ان تعلم سائر الاشياء . كما يعلم الباري بها ، او دون ذلك برتبة يسيرة ، لانها أودعت من نور الباري ، عز وجل .

واذا تجردت ، وفارقت هذا البدن ، وصارت في عالم العقل فوق الفلك ، صارت في نور الباري ، ورأت الباري ، عز وجل ، وطابت .

١) احملنا سطرين لاضطراب التعبير ، وعدم تأثيرهما في المعنى .

نوره ، وجلت^(١) في ملكته ، فانكشف لها حالاً علم كل شيء ، وصارت الاشياء كلها بارزة لها كمثل ما هي بارزة للباري عز وجل . لأن اذا كنا ، ونحن في هذا العالم الدنس ، قد نرى فيه اشياء كثيرة بضم الشمس ، فكيف اذا تجردت نفوسنا ، وصارت مطابقة لعالم الديومة ، وصارت تنظر بنور الباري ؟ فهي لا محالة ترى بنور الباري كل ظاهر دخفي ، وتفق على كل سر وعلانية .

النفس كالمراة

وكان افسقورس^(٢) يقول : « ان النفس اذا كانت ، وهي مرتبطة بالبدن ، تاركة للشهوات ، متطرفة من الادناس ، كثيرة البحث والنظر في معرفة حقائق الاشياء ، انصلقت صقالة ظاهرة ، واتخذ بها صورة من نور الباري ، يحدث فيها ويتكامل نور الباري ، بسبب ذلك الصقال الذي اكتسبه من التطهر . فحيثما يظهر فيها صور الاشياء كلها ومعرفتها ، كما يظهر صور خيالات سائر الاشياء الحسوسية في المرأة اذا كانت صقيقة . فهذا قياس النفس : لأن المرأة اذا كانت صدئة ، لم يتبن صورة شيء فيها بتة ، فإذا زال منها الصدا ظهرت وتبيّنت فيها جميع الصور ؛ كذلك النفس العقلية ، اذا كانت صدئة دنسة ، كانت على غاية الجهل ، ولم يظهر فيها صور المعلومات ، وإذا تطهرت وتبيّنت - وصفا . النفس هو ان النفس تتطهر من الدنس ، وتكتسب العلم - ظهر فيها حالاً صورة معرفة جميع الاشياء ، وعلى حسب جودة صقالتها تكون معرفتها بالاشياء . فالنفس ، كلما ازدادت صقالاً ، ظهر لها وفيها معرفة الاشياء .

(١) جلت : عظمت .

(٢) هكذا في الاصل ، وهو ابيقورس .

النفس لا نظام

وهذه النفس لا تناه بنتاً ، لأنها في وقت النوم تترك استعمال حلواس ، وتبقي محصورة ، ليست مجرد على حدتها^١ ، وتعلم كلّ ما في العالم ، وكلّ ظاهر وخفى . ولو كانت هذه النفس تنام ، لما كان الإنسان - إذا رأى في النوم شيئاً - يعلم انه في النوم ، بل لا يفرق بينه وبين ما كان في اليقظة . وإذا بلغت هذه النفس مبلغها في الطهارة ، رأت في النوم عجائب من الاحلام ، وخطيبتها الانفس التي فارقت الابدان ، وافتراض عليها الباري من نوره ورحمته ، فتلتذ حينذ لذة دافعه ، فوق كلّ لذة تكون بالطعم والشرب والنكاح والمعام والنظر والشم والمس ، لأنّ هذه لذات حسية دنسة تعقب الاذى ، وتلذذ لذة المحبة روحانية تعقب الشرف الاعظم . والشيء المفروض الجاهل من رضي لنفسه بذلك الحس ، وكانت هي أكثر اغراضه ، ومنتهي غايته .

هذا العالم معب

واما نجبي . في هذا العالم في شبه المغير والجسر ، الذي يجوز عليه السيارة ، ليس لنا مقام يطول . واما مقامنا ومستقرتنا الذي نتوقع فهو العالم الاعلى الشريف ، الذي تنتقل اليه نفوسنا بعد الموت ، حيث تقرب من باريها ، وتقرب من نوره ورحمته ، وتراء رؤية عقلية لا حسية ، ويغيب عنها من نوره ورحمته^٢ . فهذا قول ايسقورس .

فاما افلاطون فقال ، في هذا المفى : « ان مسكن الانفس العقلية ، اذا تجردت ، هو ، كما قال الفلسفه القدماء ، خلف الثالث ، في عالم الوبيرية ، حيث نور الباري .

^١ اي ليست بممارقة للجسد .

^٢ ينتهي هنا قول ايسقورس الذي بدأ في اول مقطع «النفس كملآلة» ، ص ٦٤

تطهير النفس بعد الموت

« وليس كل نفس تفارق البدن تصير من ساعتها الى ذلك العمل ، لأن من الانفس ما يفارق البدن ، وفيها دنس واشيا . خبيثة ، فنها ما يصير الى ذلك القمر فتقيم هناك مدة من الزمان ، فإذا تمذبت ونقيت ارتفعت الى ذلك العطارد فتقيم هناك مدة من الزمان ، فإذا تمذبت ونقيت ارتفعت الى ذلك كوكب . فتقيم في كل ذلك مدة من الزمان . فإذا صارت الى الفلك الاعلى ، ونقيت غاية النقاء ، وزالت ادناس الحسن وخیالاته وخیثة منها ، ارتفعت حالاً الى عالم العقل ، وجازت الفلك ، وصارت في اجل محل وشرفه ، وصارت حالاً بحيث لا تخفي عليها خافية ، وطابت نور الباري ، وصارت تعلم كل الاشياء ، قليلاً وكثيراً ، كعلم الانسان باصبعه الواحدة ، او بظفره ، او بشعرة من شعره ، وصارت الاشیاء ، كلها مكشوفة بارزة لها ، وفوض إليها الباري اشياء من سياسة العالم تلتذ بفعلها ، والتدبر لها . »

ولعمري لقد وصف افلاطون ، وواوجز ، وجمع ، في هذا الاختصار ، معانٍ كثيرة .

لا علم دونه طربر

ولا وصلة الى بلوغ النفس الى هذا المقام والرتبة الشريفة ، في هذا العالم ، وفي ذلك العالم ، الا بالتطهير من الادناس . فان الانسان ، اذا تطهر من الادناس ، صارت نفسه حالاً صقيلة تصلح ، وتقدر ان تعلم الخفیات من الغیوب . وقوه هذه النفس قريبة الشبه بقوة الاله ،

تعالى شأنه ، اذا هي تجردت عن البدن ، وفارقته ، وصارت في عالمها
الذي هو عالم الروحية .

والعجب من الانسان كيف يهمل نفسه ، ويبعدها من بارتها ، وحالها
هذه احالة الشرفية !

وقد وصف ارسطاطاليس امرَ الملك اليوناني الذي تخرج بنفسه ،
فكث لا يعيش ولا يموت اياماً كثيرة ، كلما افاق اعلم الناس بغيره
من علم القيمة ، وحدثهم بما رأى من الانفس والصور والملائكة ،
واعطاهم في ذلك البراهين . وانحدر جماعة من اهل بيته بعمر واحد
واحد منهم ، فلما امتحن كلُّ ما قال ، لم يتتجاوز احد منهم المقدار
الذى حدَّ له من العمر . وانحدر ان خسفاً يكون في بلاد الأوس ،
بعد سنة ، وسيُلِّي يكون في موضع آخر بعد ستين ، فكان الامر
كما قال .

وذكر ارسطاطاليس ان السبيل في ذلك ان نفسه اغا علمت ذلك
العلم ، لانها كانت ان تفارق البدن ، وانفصلت عنه بعض الانفصال ،
فرأت ذلك . فكيف لو فارقت البدن على الحقيقة ؟ لكان قد رأت
عجبانب من امر الملائكة الاعلى !

طهور قلب

فقل للباكون ، من طبعه ان يبكي من الاشياء المزنة ، ينبغي ان
يبكي ويكتئر البكاء على من يهمل نفسه ، وينهك^(١) من ارتكاب
الشهوات الحقيرة الحسية الدنيا الموجهة التي تكبشه الشره ، وقيل بطبعه الى
طبع الباهام ، ويدع ان يتشغل بالنظر في هذا الامر الشريف ، والخلاص

(١) ينهك : يبالغ .

إليه ، ويظهر نفسه حسب طاقته . فإن الطهر الحق هو طهر النفس ، لا طهر البدن . . .

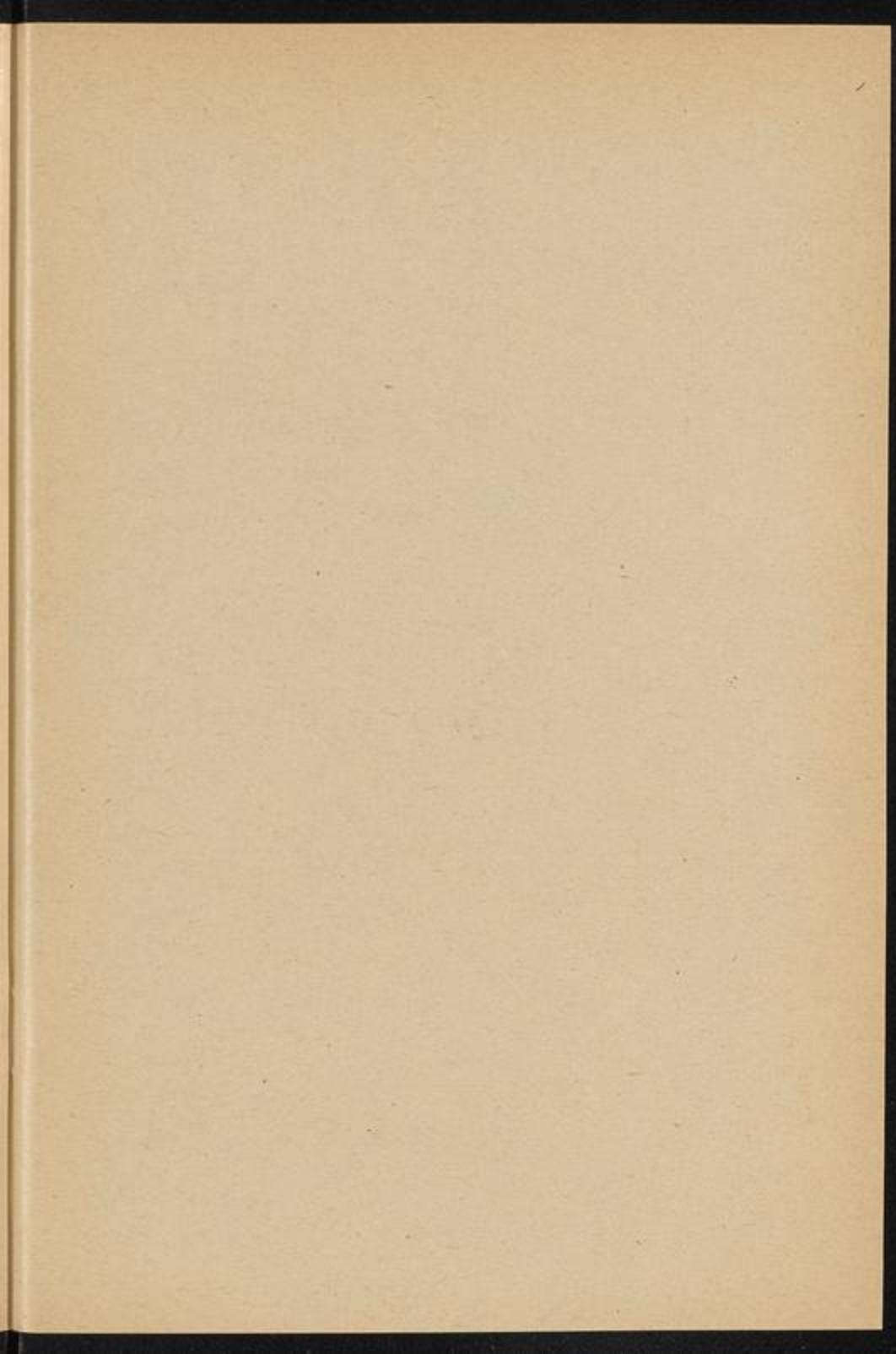
ومن فضيلة المتبع لله ، الذي قد هجر الدنيا ولذاتها الدنيئة ، أن الجهل كلهم — الا من سخر منهم بنفسه — يعترف بفضله ، ويجله ، ويفرح أن يطلع منه على الخطأ .

فيما اياها الانسان الجاهل ، الا تعلم ان مقامك في هذا العالم ابا هو كلامحة ، ثم تصير الى العالم الحقيقي ، فتبقى فيه ابداً الابدين ؟ ! وانما انت عابر سبيل في هذا الامر ، اراده باريك عز وجل . فقد علمته جلة الفلاسفة ، واختصرناه من قولهم ان النفس جوهر بسيط .

فتفهم ما كتبت به اليك تكون سعيداً ، اسعدك الله تعالى في دنياك وأخرتك .

رسالة

في العقل



فهـك الله النافعـات ، واسعدك في دار الحياة ودار الموت .

فهـستُ الذي سـأـلتَ من رـسـم قول في العـقـل ، مـوجـزـ خـبـري ، عـلـى رـأـيـ المـحـمـودـينـ من قـدـمـاءـ اليـونـانـ ، وـمـنـ اـحـدـهـ اـرـسـطـاطـالـيـسـ ومـعـلـمـهـ اـفـلاـطـونـ الـحـكـيمـ ، اـذـ كـانـ حـاـصـلـ قول اـفـلاـطـونـ في ذـلـكـ قولـ تـلـمـيـذـهـ اـرـسـطـاطـالـيـسـ .

فـلـتـقـلـ في ذـلـكـ ، عـلـى السـبـيلـ الـخـبـريـ ، فـنـقـولـ :

ان رـأـيـ اـرـسـطـاطـالـيـسـ في العـقـلـ انـ العـقـلـ عـلـى اـرـبـعـةـ اـنـوـاعـ : الاـوـلـ منهاـ العـقـلـ الـذـيـ بـالـفـعـلـ اـبـدـاـ . والـثـانـيـ العـقـلـ الـذـيـ بـالـقـوـةـ ، وـهـوـ لـلـنـفـسـ . والـثـالـثـ العـقـلـ الـذـيـ خـرـجـ فـيـ النـفـسـ مـنـ القـوـةـ إـلـىـ الفـعـلـ . والـرـابـعـ العـقـلـ الـذـيـ نـسـبـيـهـ الـثـانـيـ .

وـهـوـ^(١) يـثـلـ العـقـلـ بـالـحـسـ اـقـرـبـ الحـسـ مـنـ الـحـيـ ، وـعـوـمـهـ لـهـ اـجـعـ ، فـانـهـ يـقـولـ : انـ الصـورـةـ صـورـتـانـ : اـمـاـ اـحـدـيـ الصـورـتـينـ فـاـهـيـوـلـاـنـيـةـ ، وـهـيـ الـوـاقـعـةـ تـحـتـ الـحـسـ . وـاـمـاـ الـاـخـرـىـ فـالـتـيـ لـيـسـ بـذـاتـ هـيـوـلـيـ ، وـهـيـ الـوـاقـعـةـ تـحـتـ العـقـلـ ، وـهـيـ نـوـعـةـ الـاـشـيـاـ . وـمـاـ فـوـقـهاـ .

فالـصـورـةـ ، الـتـيـ فـيـ هـيـوـلـيـ ، هـيـ الـتـيـ بـالـفـعـلـ مـحـسـوـسـةـ ، لـاـنـهـ لـوـ لمـ

(١) اي اـرـسـطـوـ .

وَكَنْ بِالْفَعْلِ مُحْسُوسَةٌ، لَمْ تَقْعُ تَحْتَ الْحَسْنِ . فَإِذَا أَفَادَتْهَا^(١) النَّفْسُ فِيهِي
فِي النَّفْسِ . وَإِنَّ تَفِيدَهَا النَّفْسُ لَا تَنْهَا فِي النَّفْسِ بِالْقُوَّةِ، فَإِذَا باشَرَتْهَا
النَّفْسُ صَارَتِ فِي النَّفْسِ بِالْفَعْلِ . وَلَيْسَ تَصِيرُ فِي النَّفْسِ كَاشِيًّا . فِي الْوَعَاءِ،
وَلَا كَالْمَثَالُ^(٢) فِي الْجَرْمِ، لَأَنَّ النَّفْسَ لِيَسْتِ بِجَسْمٍ، وَلَا مُتَبَعِّزَةٌ، فَهِيَ
فِي النَّفْسِ وَالنَّفْسُ شَيْءٌ . وَاحِدٌ لَا غَيْرٌ . . . وَكَذَلِكَ اِيْضًا الْقُوَّةُ الْحَاسَةُ
لِيَسْتِ هِيَ شَيْئًا غَيْرَ النَّفْسِ، وَلَا هِيَ فِي النَّفْسِ كَالْعَضُوِ فِي الْجَسْمِ، بَلْ
هِيَ النَّفْسُ، وَهِيَ الْحَاسَةُ . وَكَذَلِكَ الصُّورَةُ الْمُحْسُوسَةُ لِيَسْتِ فِي النَّفْسِ
كَفِيرٌ . . . فَإِذَانَ الْمُحْسُوسُ فِي النَّفْسِ هُوَ الْحَاسَةُ . فَإِنَّ الْمَيْوَلِيَّ فَإِنَّ مُحْسُوسَهَا
غَيْرَ النَّفْسِ الْحَاسَةُ، فَإِذَانَ مِنْ جَهَةِ الْمَيْوَلِيِّ الْمُحْسُوسُ لِيَسْتِ هُوَ
الْحَاسَةُ .

وَكَذَلِكَ يَتَبَلَّلُ^(٣) الْعُقْلُ: فَإِنَّ النَّفْسَ، إِذَا باشَرَتِ الْعُقْلَ، اعْنَى الصُّورَ
الَّتِي لَا هَيْوَلِيَّ لَهَا وَلَا فَنْطَاسِيَّ^(٤)، اتَّخَدَتِ بِالنَّفْسِ، اعْنَى إِنَّهَا كَانَتْ
مُوْجَودَةً فِي النَّفْسِ بِالْفَعْلِ، وَقَدْ كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ لَا مُوْجَودَةً فِيهَا بِالْفَعْلِ،
بَلْ بِالْقُوَّةِ . فَهَذِهِ الصُّورَةُ الَّتِي لَا هَيْوَلِيَّ لَهَا وَلَا فَنْطَاسِيَّ هِيَ الْعُقْلُ الْمُسْتَفَادُ
لِنَفْسِ مِنَ الْعُقْلِ الْأَوَّلِ، الَّذِي^(٥) هُوَ نُوْعِيْةُ الْأَشْيَا . الَّتِي هِيَ بِالْفَعْلِ اِبْدَاهَا .
وَإِنَّا صَارَ مُفْعِدًا، وَالنَّفْسُ مُسْتَفِيْدَةُ، لَأَنَّ النَّفْسَ بِالْقُوَّةِ عَاقِلَةٌ، وَالْعُقْلُ
الْأَوَّلُ بِالْفَعْلِ . وَكُلُّ شَيْءٍ . إِفَادَ شَيْئًا ذَاتَهُ، فَإِنَّ الْمُسْتَفِيدَ كَانَ لَهُ ذَلِكُ
الشَّيْءُ بِالْقُوَّةِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ بِالْفَعْلِ . وَكُلُّ مَا كَانَ لَشَيْءٍ بِالْقُوَّةِ فَلِيُّسَ
يُخْرِجُ إِلَى الْفَعْلِ بِذَاتِهِ، لَأَنَّهُ لَوْ كَانَ بِذَاتِهِ كَانَ اِبْدَاهَا بِالْفَعْلِ، لَأَنَّ ذَاتَهُ

(١) إِفَادَهَا: ادَرْ كَتَبَهَا .

(٢) المَثَالُ: الصُّورَةُ .

(٣) اِيْ اِرْسَطَهُ .

(٤) صُورَةٌ مُحْسُوسَةٌ .

(٥) الَّذِي: يَعُودُ إِلَى الْعُقْلِ الْمُسْتَفَادِ .

له بدأ ما كان موجوداً . فاذن كل ما كان بالقوة فاما يخرج الى الفعل باخر ، هو ذلك الشي . بالفعل . فاذن النفس عاقلة بالقوة ، وخارجة بالعقل الاول — اذا باشرته — الى ان تكون عاقلة بالفعل . فائما اذا احدثت الصورة العقلية بها ، لم تكن هي والصورة العقلية متغيرة ، لأنها ليست بمنقسمة فتتغير . فاذا احدثت بها الصورة العقلية فهي والعقل شيء واحد ، فهي عاقلة ومعقوله . فاذن العقل والمعقول شيء . أحد من جهة النفس .

فاما العقل ، الذي بالفعل ابداً ، المخرج النفس الى ان تصير بالفعل عاقلة ، بعد ان كانت عاقلة بالقوة ، فليس هو ومعقوله شيئاً احداً . فاذن المعقول في النفس والعقل الاول ، من جهة العقل الاول ، ليس بشيء . واحد . فاما من جهة النفس فالعقل والمعقول شيء . واحد . وهذا في العقل هو بالبساط اشبه بالنفس ، وقوى منه في المحسوس كثيراً .

فاذن العقل اما علة واول جميع المقولات والقول الثاني ، واما ثالث وهو بالقوة للنفس ما لم تكن النفس عاقلة بالفعل^{١)} . والثالث هو الذي بالفعل للنفس ، وقد اقتنته وصار لها موجوداً ، متى شاءت استعملته واظهرته لوجود غيرها منها ، كالكتابة في الكتاب فهي معدة ممكنة قد اقتنتها وثبتت في نفسه ، فهو يخرجها ويستعملها متى شاء . واما الرابع فهو العقل الظاهر من النفس ، متى اخرجته ، فكان موجوداً لغيرها منها بالفعل .

فاذن الفصل بين الثالث والرابع ان الثالث قنية للنفس ، قد مضى وقت مبتدأ قتيتها ، ولما ان تخرجه متى شاءت ، والرابع أنه اما وقت قتيته او لا ، واما وقت ظهوره ثانية ، متى استعملته النفس . فاذن الثالث

١) اي الى ان تصبح النفس عاقلة بالفعل .

هو الذي للنفس قنَّة قد تقدمت ، وهي شامت كان موجوداً فيها ، واما الرابع فهو الظاهر^(١) في النفس مت ظهر بالفعل .
والحمد لله كثيرا بحسب استحقاقه .

فهذه آراء الحكماء الاولين في العقل . وهذا - كان الله لك مسدداً -
قدر هذا القول فيه ، اذ كان ما طلبت اقول المرسل الخبري الكافي ،
فكن به سعيداً !

(١) يسمى هذا العقل الظاهر العقل الثاني ، في اول الرسالة . التسمية غامضة ،
اما المعنى فواضح .

ال فعل المستفاد

النفس عاقلة بالفعل ، عند التحاد الانواع بها ، وقبل التحادها بها كانت عاقلة بالقوة . وكل شيء هو شيء بالقوة فاما يُترجمه الى الفعل شيء آخر - هو ذلك المخرج من القوة الى الفعل - بالفعل . والذي اخرج النفس ، التي هي عاقلة بالقوة ، الى ان صارت عاقلة بالفعل - اعني متعددة بها انواع الاشياء . واجناسها ، اعني كلياتها - هي الكليات اعينها ، فانيا بالتحادها بالنفس صارت النفس عاقلة ، اي لها عقل ما ، اي بها كليات الاشياء . فكليات الاشياء ، اذ هي في النفس خارجة من القوة الى الفعل ، هي العقل المستفاد ، الذي كان لها بالقوة ، فهي العقل الذي بالفعل الذي اخرج النفس من القوة الى الفعل .

(الفلسفة الاولى - ١٥٥)

الحس والمصورة

ان الفصل بين الحس وبين القوة المصورة أن الحس يوجدنا صور محسوساته محمولة في طيتها ، فاما هذه القوة فانيا توجدنا الصور الشخصية مجردة ، بلا حوامل ...

وقد تعمل هذه القوة اعمالها في حال النوم واليقظة ، الا انها في النوم اظهر فعلا واقوى منها في اليقظة ولذلك ما توجد الصورة النومية اتقن واحسن .

وايضا فانيا تقدر ان ترتكب الصور ، فاما الحس فلا يرتكب الصورة
فان البصر لا يقدر على ان يوجدنا انسانا له قرن او ريش او غير ذلك مما ليس للانسان في الطبيع ، ولا حيوانا من غير الناطق ناطقا فاما فكرنا .
فليس بمنتهى عليه ان يوهم الانسان طائرا او ذا ريش ، والسبع ناطقا .
(مادية النوم وازوبيا)

الرؤيا

فاما لماذا نرى الاشياء، قبل كونها ... فان العلة في ذلك ما للنفس من العلم بالطبع ، وابتها موضع جميع الاشياء الحسية والعقلية...
ليس المحسوس في النفس شيئاً اخر غير الحاس ، فإنه ليس ثم غير
وغير ، اما هي ذات واحدة بسيطة... .

وكذلك معقولها فإنه ليس غير القوة منها المسماة عقلاً ، اذ كان
معنى قوله محسوس اما هو الاشخاص ، وقولنا معقول اما هو الانواع وما
فوق الانواع الى جنس الاجناس.

فإذا كان المحسوس موجوداً في النفس ، فليس الحاس في النفس
غير المحسوس . وكذلك العقل من النفس ليس هو غير المعقول في حال
وجود النفس المعقول . فاذن العقل في النفس هو المعقول ، والحس هو
المحسوس ، اذا كانا موجودين للنفس . فاما ، قبل ان يوجدا ، فان
المحسوس هو صور الاشخاص ، والمعقول هو صور ما فوق الاشخاص ،
اعني الانواع والاجناس . والاجناس والانواع والاشخاص هي جميع
المعقولات ، فهي اذا كانت للحس العاقل - اي موجودة لنفسه -
 فهي جميعاً في نفسه . فلذلك قال افلاطون : ان النفس مكان جميع
الاشيا المحسوسة والمعقوله . فاذن النفس علامه بالطبع ، لأن العلم اجمع
اما هو للحس والعقل ، وما جانبهما وعنهما .

فاذن قد يقرب ان يتبيّن ما العلة في اختلاف احوال الرؤيا في تقدمة
معارفها . فان النفس ، لأنها علامه يقطانة حيّة ، قد ترمز بالاشيا ، قبل
كونها ، أو تبني بها باعيانها .

(ماهية النوم والرؤيا)

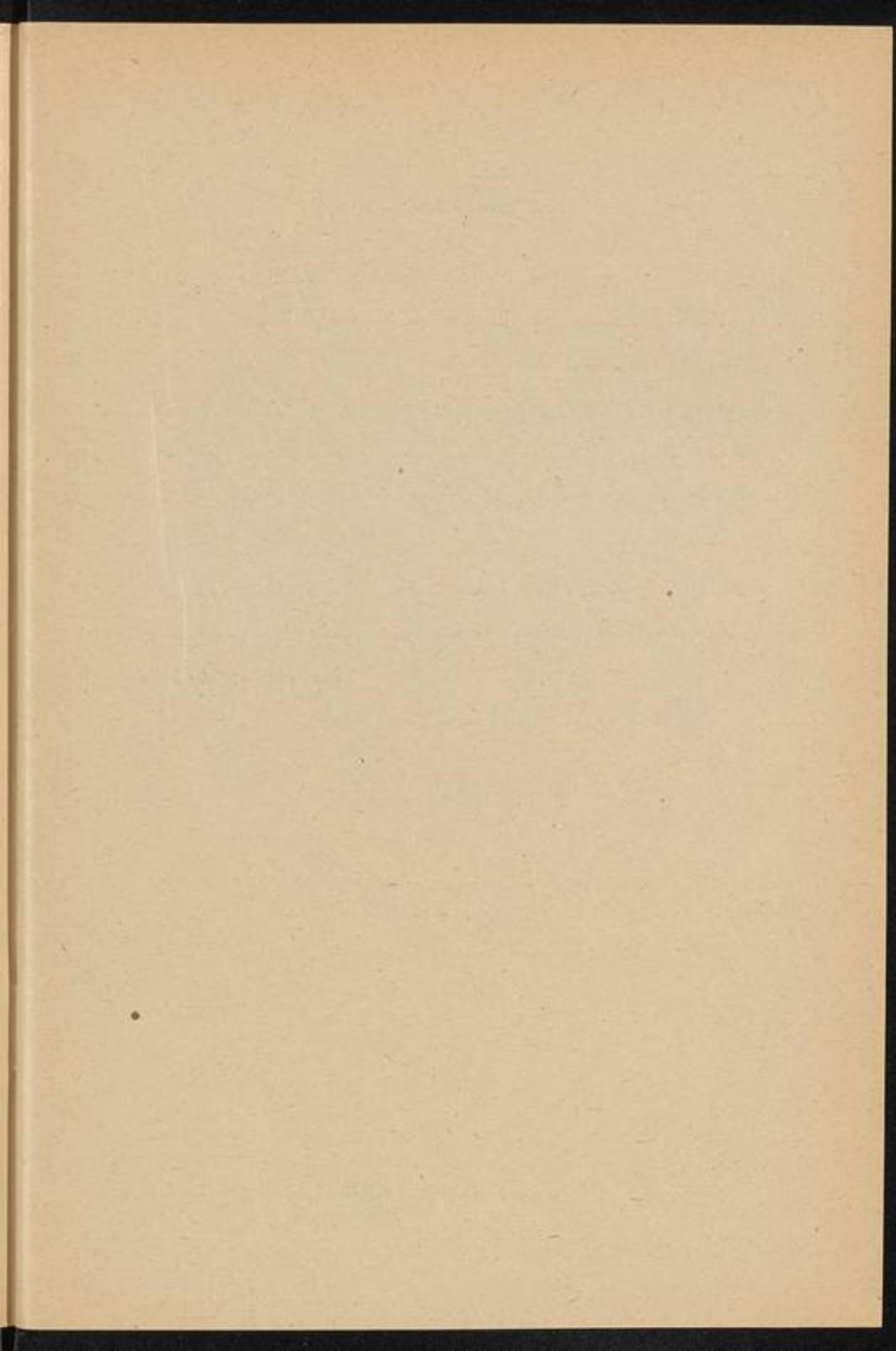
الإنسان عالم صغير

ستى ذرو التمييز من حكمها، القدماه ، من غير اهل اسانتا ،
الانسان عالمًا صغيرا ، اذ فيه جميع القوى التي هي موجودة في الكل ،
اعنى الفنا والحيوانية والمنطقية ، وفيه الارضية كالعقل و ما اشبهها ،
والسمائية كالارطوبات التي فيه ... و كالمواه جو باطنها و جميع جوفه ،
وكالتار حرارته الفريزية ، وكالبنات شعره ، وكالحيوانات المتولدة
الخرشات^(١) المتولدة في باطنها و ظاهره ... فان لكل واحد من هذه فيه
شيئا .

فما الذي يذكر من ان تكون القدرة الحق التامة مثلاً الكل
مثلاً حيوان واحد ، موجود في جميع ما يوجد في الكل ، وانسان
واحد توجد فيه جميع هذه ؟

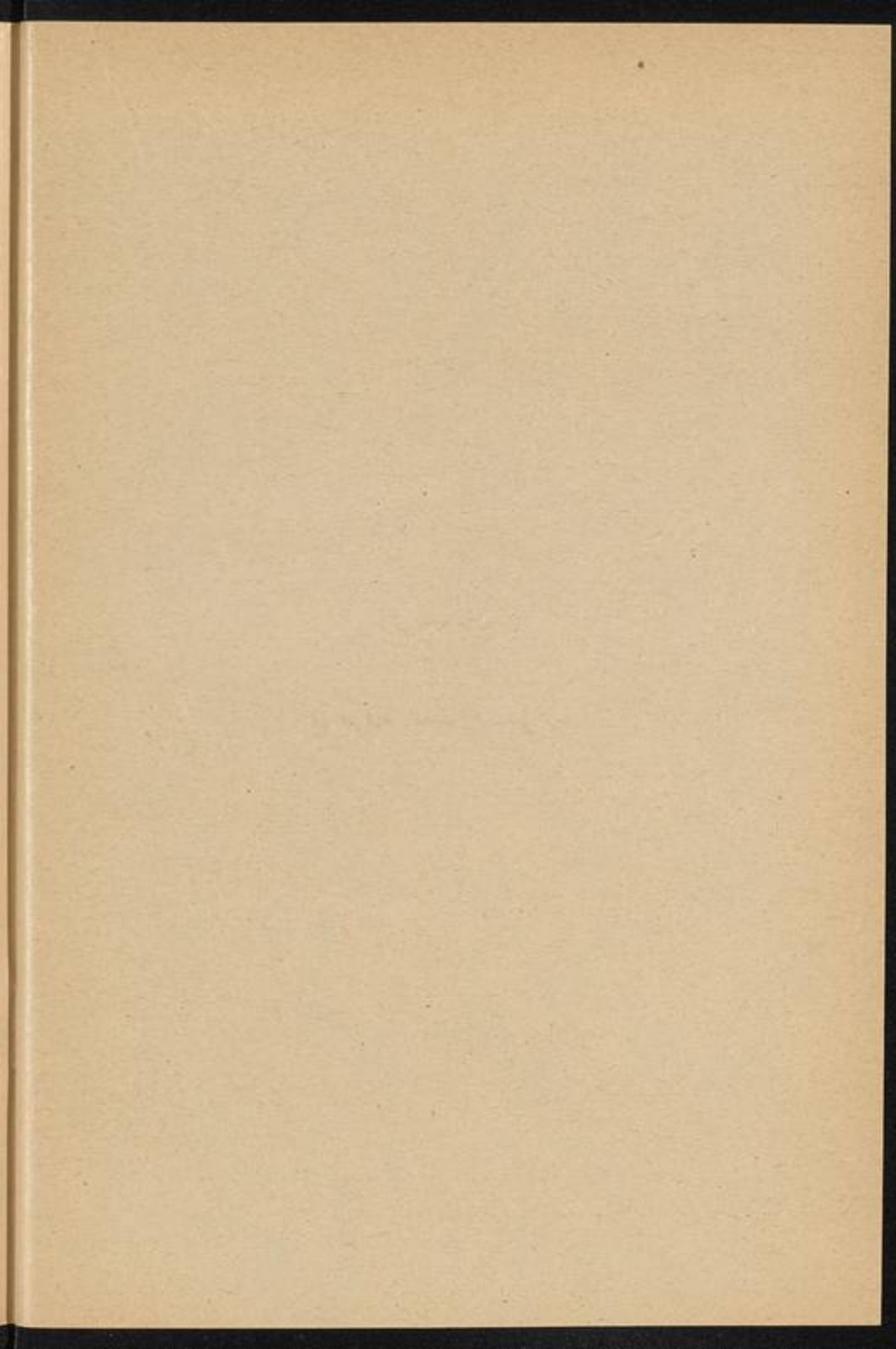
(الابانة عن سجود الجرم الاقصى و طاعته لله)

(١) الخرشات : جمع خرثة ، وهي واحدة الذباب .



رسالة

في عدود الأدباء ورسومها



- العلة الاولى : مبدعة ، فاعلة ، متنفسة الكل ، غير منحرفة.
- العقل : جوهر بسيط مدرك للأشياء . بمحاقها.
- النفس : قامة جوهر طبيعي ، ذي آلة ، قابل للحياة . ويقال: هي استكمال أول جسم طبيعي ، ذي حياة بالقوة . . .
- الجرم : ما له ثلاثة ابعاد.
- الإبداع : اظهار الشيء عن ليس.
- المهيولى : قوة موضوعة لحمل الصورة ، منفعة.
- الصورة : الشيء الذي به الشيء . هو ما هو.
- الاختيار : ارادة قد تقدمها رؤية مع تمييز.
- الكمية : ما احتمل المساواة وغير المساواة.
- الكيفية : ما هو شبيه وغير شبيه.
- الحركة : تبدل حال الذات.
- الزمان : مدة تعددتها الحركة ، غير ثابتة الاجزاء .
- المكان : نهايات الاجسام . ويقال: هو التقاء أفقى الخطوط والمحاط به.
- التوهم : هو الفنطاسيا ، قوة نفسانية ومدركة للصور الحسية مع غيبة طيتها . ويقال : الفنطاسيا ، وهو التخيل ، وهو حضور صور الاشياء المحسوسة مع غيبة طيتها .
- الارادة : قوة يقصد بها الشيء . دون الشيء .

- الحبة : علة اجتاع الاشياء.
- الایقاع : فعل فصل زمان الصوت بفواصل متناسبة متتابعة.
- الاسطقس : منه يكون الشيء ، واليه يرجع منحلاً ، وفيه الكائن بالقوة . وايضاً : هو عنصر الجسم ، وهو اصفر الاشياء من جملة الجسم .
- الغريرة : طبيعة حالة في القلب ، أعدت فيه لينال بها الحياة .
- الوهم : وقوف شيء للنفس بين الاجاب والسلب ، لا يقبل الى واحد منها .
- القوة : ما ليس بظاهر ، وقد يكن ان يظهر عما هو فيه بالقوة .
- الاذلي : الذي لم يكن ليس ، وليس يحتاج في قوامه الى غيره . والذى لا يحتاج في قوامه الى غيره فلا علة له ، وما لا علة له فدائم ابداً .
- العلل الطبيعية اربع : ما منه كان الشيء ، اعني عنصره . وصورة الشيء . التي بها هو ما هو . ومبتدأ حركة الشيء . التي هي علته . وما من اجله فعل الفاعل مفعوله .
- الفلك : عنصر ذو صورة ، فليس باذلي .
- المُحال : جمع المتناقضين في شيء ما ، في زمان واحد ، وجزء . واضافة واحدة .
- اليدين : هو سكون الفهم مع ثبات القضية ببرهان .
- الفلسفة : حدتها القدما . بعدة حدود :
- اما من اشتقاق اسمها ، وهو حب الحكمة ، لأن « فيلسوف » هو مركب من فلا وهو محب ، ومن سوف وهي الحكمة .
- وحدوها ايضاً من فعلها فقالوا : ان الفلسفة هي التشبه بافعال الله تعالى ، بقدر طاقة الانسان - ارادوا ان يكون الانسان كامل الفضيلة .
- وحدوها ايضاً من جهة فعلها فقالوا : العناية بالموت . والموت

عندُهم موتن : طبِيعي وهو ترك النفس استعمال البدن ، والثاني إماتة الشهورات . فهذا^{١)} هو الموت الذي قصدوا اليه ، لأن اماتة الشهورات هي السبيل الى الفضيلة ، وكذلك قال كثير من اجلة القدما : المذلة شر ... — وحدوها ايضاً من جهة العلة فقالوا : صناعة الصناعات وحكمة الحكم .

— وحدوها ايضاً فقالوا : الفلسفة معرفة الانسان نفسه . وهذا قول شريف النهاية ، بعيد الغور ... ،凡ه اذا عرف ذاته ، عرف الجم باعراضه ، والعرض الاول ، والجواهر الذي هو لا جم . فاذن ، اذا علم ذاتك جيماً ، فقد علم الكل . وهذه العلة سبب الحكمة ، الانسان العالم الاصغر .

— فاما ما يُحدُّ به عن الفلسفة فهو ان الفلسفة علم الاشياء ، الابدية الكلية ، إنمايتها ومانيتها وعملها ، بقدر طاقة الانسان .

— الشك : هو الوقوف على حد الطرفين من الظن ، مع تهمة ذلك الظن .

— الحبة : مطلوب النفس ، ومتتبعة القوة التي هي اجتماع الاشياء . ويقال : هي حال النفس فيما بينها وبين شيء يخليها اليه .

— العشق : افراط الحبة .

— المعرفة : رأي غير زائل .

— الحقد : غضب يبقى في النفس على وجه الدهر .

— الفضائل الانسانية :

هي الخلق الانساني الحميد . وهي تنقسم قسمين أولين : احدهما في النفس ، والآخر مما يحيط بدن الانسان من الآثار الكائنة عن النفس .

١) اي فهذا الثاني .

اما القسم الثالث في النفس فينقسم ثلاثة اقسام : احدها الحكمة ، والآخر النجدة ، والآخر العفة . واما الذي يحيط بذى النفس فالآثار الكائنة عن النفس ، والعدل فيما احاط بذى النفس .

واما الحكمة فهي فضيلة القوة النطقية ، وهي علم الاشياء الكلية بمقانعها ، واستعمال ما يجب استعماله من الحقائق .
واما النجدة فهي فضيلة القوة الغلبية ، وهي الاستهانة بالموت في اخذ ما يجب اخذه ، ودفع ما يجب دفعه .

واما العفة فهي تناول الاشياء التي يجب تناولها لتربيه ابدانها وحفظها بعد القام ، وانتصار امثالها ، والامساك عن تناول غير ذلك .
وكل واحدة من هذه الثلاث سود للفضائل .

— الفضائل :

لها حارفان : احدهما من جهة الافراط ، والآخر من جهة التقصير ، وكل واحد منها خروج عن الاعتدال ، لأن حد الخروج عن الاعتدال مقابل للاعتدال باشد انواع المقابلة تباعيًّا — اعني الایجاب والسلب — فان الخروج عن الاعتدال رذيلة ، وهو ينقسم قسمين متضادين : احدهما الافراط ، والآخر التقصير ...

للنجدة خروج القوة الغلبية عن الاعتدال ، وهي رذيلة الاعتدال ، وهو ينقسم قسمين متضادين : احدهما من جهة السرف وهو التهور والهوج ، واما الآخر فهو من جهة التقصير ، وهو الجبن .

واما غير الاعتدال في العفة فهي رذيلة ايضاً مضادة للعفة ، وهي تنقسم قسمين : احدهما من جهة الافراط ، وهو ينقسم ثلاثة اقسام ، ويعتبرها الحرص — احدها الحرص على المآكل والمشابب وهو الشره والنهم وما سنتي كذلك ، ومنها الحرص على النكاح من حيث سنه ... ، ومنها الحرص على الثقة وهو الرغبة الذميمة الداعية الى الحسد والمنافسة ،

وما كان كذلك . واما الآخر الذي من جهة التقصير فهو الكسل وانواعه .
 ففضيلة هذه القوى الننسانية جيماً الاعتدال المشتق من العدل .
 وكذلك الفضيلة ، في ما يحيط بذى النفس من الآثار الكائنة عن
 النفس ، هي العدل في تلك الآثار ، اعني في ارادات النفس من غيرها
 وبغيرها ، وافعال النفس في هذه الحيطة بذى النفس . فاما الرذيلة في
 هذه الحيطة بذى النفس فالجلور المضاد في العدل فيها
 - الانسانية : هي الحياة والنطق والموت .
 - الملائكية : الحياة والنطق .
 - اليميسية : هي الحياة والموت .

فصل الفدما

ومن أوجب الحق الآندم من كان أحد اسباب منافعنا الصغار المزيلة ، فكيف بالذين هم اكبر اسباب منافعنا العظام الحقيقة الجدية . فانهم وان قصرروا عن بعض الحق ، فقد كانوا لنا انساباً وشركاً في ما افادونا من ثمار فكرهم ، التي صارت لنا سبلاً وآلات مؤدية الى علم كثيير مما قصرروا عن نيل حقيقته ، ولا سيما اذ هو بيننا عندنا ، وعند المبرزين من المتكلسين قبلنا من غير اهل لساننا ، انه لم يتل الحق - بما يستأهل الحق - احد من الناس بجهد طلبه ، هولا احاط به جميعهم . بل كل واحد منهم اما لم يتل منه شيئاً ، واما نال منه شيئاً يسيراً بالإضافة الى ما يستأهل الحق . فاذا جمع يسيراً ما نال كل واحد من النائلين الحق منهم ، اجتمع من ذلك شيء له قدر جليل .

فينبغي ان يعظم شكرنا للآتين بيسير الحق ، فضلاً عن اى بكثير من الحق ، اذ اشركونا في ثمار فكرهم ، وسهلاوا لنا المطالب الحقيقة الجدية يا افادونا من المقدمات المسهلة لنا سبل الحق . فانهم لو لم يكونوا ، لم يجتمع لنا - مع شدة البحث في مدينتنا كلها - هذه الاوائل الحقيقة التي بها تخرجنا الى الاواخر من مطلوباتنا الحقيقة . فان ذلك اغا اجتمع في الاعصار السالفة المتقدمة عصراً بعد عصر ، الى زماننا هذا ، مع شدة البحث ، ولزوم الدأب ، وايثار التعب في ذلك .

وغير يمكن ان يجتمع في زمن المرو الواحد ، وان اتسعت مدته ، واشتد بجهه ، ولطف نظره ، وآخر الدأب ، ما اجتمع من شدة البحث والطاف النظر وايثار الدأب في اضعاف ذلك من الزمان الاضعاف الكثيرة . فاما ارسطوطاليس ، مهرب اليونانيين في الفلسفة ، فقال : ينبعي لنا ان

نشكر آبا، الذين اتوا بشيء من الحق ، اذ كانوا سبب كونهم ، فضلاً عنهم ، اذ هم سبب لهم ، واذ هم سبب لنا الى نيل الحق . فما احسن ما قال في ذلك !

وينبني لانا ان لا نستحي من استحسان الحق ، واقتناه . الحق من اين اتى ، وان اتى من الاجناس القاصية عنا ، والامم المبائية ، فانه لا شيء اولى بطالب الحق من الحق ...

فحسن بنا - اذ كنا حريصاً على تعميم نوعنا ، اذ الحق في ذلك - ان نلزم في كتابنا هذا عاداتنا ، في جميع موضوعاتنا ، من احضار ما قال القديما . في ذلك قوله تعالى ، على أقصد سبله واسهلها سلوكاً على ابناء هذه السبيل ، وتعميم ما لم يقولوا فيه قوله تعالى ، على مجرى عادة المنسان وسنة الزمان ، وبقدر طاقتنا ، مع العلة العارضة لنا في ذلك من الانحراف عن الاقسام في القول ، المحيل لعقد العويس المتتبسة ، توقياً سوء تأويل كثيير من المتسلين بالنظر في دهرنا من اهل الغربة عن الحق ، وان تتوجوا بتيجان الحق من غير استحقاق ، لضيق فطنهم عن اساليب الحق ، وقلة معرفتهم بما يستحق ذهو وجلالته في الرأي ، والاجتهد في الانفاع العامة الكل ، الشاملة لهم ، ولدرانة الحسد المتنكّن من انفسهم البهيمية ، والاحجر يسدّ سجوفه ابصار فكرهم عن نور الحق ، ووضفهم ذوي الفضائل الانسانية ، التي قصروا عن نيلها ، وكانوا منها في الاطراف الشاسعة ، بوضع الاعداء الجريئة الواترة ، ذبباً عن كراسיהם المزورة التي نصبوها عن غير استحقاق ، بل للتروس والتجارة بالدين ، وهم عدماء الدين ، لأن من تجرّ بشيء باعه ، ومن باع شيئاً لم يكن له ، فمن تجرّ بالدين لم يكن له دين ، ويتحقق ان يتعرى من الدين من عاند قُنية عالم الاشياء بحقائقها ، وستاهها كفراً ، لأن في علم الاشياء بحقائقها علم الربوبية ، وعلم الوحدانية ، وعلم الفضيلة ، وجملة علم كلّ نافع ، والسبيل اليه

والبعد عن كل ضار والاحتراس منه . واقتناه هذه جميعاً هو الذي اتى به الرسل الصادقة عن الله ، جل تناوذه . فان الرسل الصادقة ، صلوات الله عليها ، اما اتت بالاقرار بربوبية الله وحده ، وبذاته الفضائل المرتضاة عنه ، وترك الرذائل المضادة للفضائل في ذاتها ، وآثارها .

فواجِبُ اذن التمسك بيده القنية النفيضة عند ذوي الحق ، وان نسعى في طلبها بغاية جهتنا ، لما قدمتنا ، ولما نحن قائمون الان . وذلك انه ، باضطرار ، يجب على السنة المضادين لها اقتناوها .

وذلك انهم لا يخلون من ان يقولوا ان اقتناها يجب او لا يجب . فان قالوا انه يجب ، وجب طلبها عليهم . وان قالوا انها لا تجب ، وجب عليهم ان يحضرها علة ذلك ، وان يعطوا على ذلك برهاناً . واعطاهم العلة والبرهان من قنية علم الاشياء بحقائقها . فواجِبُ اذن طلب هذه القنية بالستهم ، والتمسك بها باضطرار عليهم .

٥

فنحن نسأل المطلع على سرائرنا ، والعالم اجهادنا في تشتيت الحجة على ربوبيته ، وايضاح وحدانيته ، وذبَّ المعاندين له الكافرين به عن ذلك بالحجج القاعدة لکفرهم ، والهاتكة لسجوف فضائحهم ، الخبرة عن عورات تحكم المرذلة ، ان يحوطنا ومن سلك سيلنا بمحصن عزه الذي لا يُؤمِّن ، وان يُلْبِسَنا سراويل جُنْته الواقعية ، ويبَثُ لنا نصرة غروب^١ اسلحته النافذة ، والتأييد بعزم قوته الفاتحة ، حتى يُلْقَنَا بذلك نهاية نيتنا من نصرة الحق ، وتأييد الصدق ، ويُلْقَنَا بذلك درجة من ارتضى نيتها ، وقبل فعله ، ووهب له الفتح والثُّلُّفَر على اعداده ، الكافرين نعمتهم ، والخائدين عن سبيل الحق المرتضاة عنده .

(الفلسفة الاولى)

١) غرب السلاح : حده .

ضرورة النأول

ان قول الصادق محمد ، صلوات الله عليه ، وما اذى عن الله عزّ وجلّ ، لم يوجد جميماً بالمقاييس العقلية ، التي لا يدفعها الا من حرم صورة العقل ، والحادي ب بصورة الجهل ، من جميع الناس .

فاما من آمن برسالة محمد ، صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وصدقه ، ثم جحد ما اتى به ، وانكر ما تأول ذوى الدين والالباب من اخذ عنه ، صلوات الله عليه ، فظاهر الضعف في تقييذه ، اذ يُبطل ما يُثبتنه ، وهو لا يشعر بما اتى من ذلك ، او يكُون ممن جهل العلة التي اتى بها الرسول صلوات الله عليه ، ولم يعرف اشتباه الايات ، فيها والتصريف والاستلاقات اللواتي ، وان كانت كثيرة في اللغة العربية ، فانها عامة لكل لغة .
 (الابانة عن سجود الجرم الاقسى)

علم الرس

... كعلم الرس ، صلوات الله عليهم ، الذي خصه الله ، جل وتعالي علوًّا كبيرًا ، انه بلا طلب ولا تكلف ولا بحث ، ولا بحيلة باليزيادات والمنطق ، ولا بزمان ، بل مع ارادته ، جل وتعالي ، بتطهير انفسهم وإنارة الحق بتأنيه وتسديده واهمامه ورسالاته .

فإن هذا العلم خاصة للرسل ، صلوات الله عليهم ، دون البشر ، واحد خواجهم العجيبة ، اعني آياتهم الفاصلة لهم من غيرهم من البشر ...
 فانه ان تدبر متغير جوابات الرسل فيما سئلوا عنه من الامور الحقيقة الحقيقة ، التي اذا قصد الفيلسوف الجواب فيها مجهد حياته التي اكتسبته عليها - لطول الدژوب في البحث والتزوّض - ما نجده اتى بذلك في الوجازة

والبيان وقرب السيل والاحاطة بالمطلوب ، كجواب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في ما سأله المشركون ... : « يا محمد ، من يحيي العظام ، وهي رميم ؟ » ... فاوحى اليه الحق ، جل ثناؤه : « قل : يحييها الذي انشأها اول مرة ، وهو بكل خلق عالم - الى قوله : كن فيكون ». فاي دليل في العقول النيرة الصافية ابين واوجز من انه اذا كانت العظام ، بل ان لم تكن ، فمسكنا ، اذا بطلت بعد ان كانت وصارت رميم ، ان تكون ايضا ؟ ... اي بشر يقدر ، بفلسفة البشر ، ان يجمع في قول بقدر حروف هذه الآية ما جمع الله ... ؟ كللت عن مثل ذلك الاسنن المنطقية المتحيلة ، وقصرت عن منهنهيات البشر ، وحجبت عن العقول الجزرية .

(كمية كتب ارسسطو طاليس)



فلاسفة العرب

سلسلة دراسات ومحاجرات

ظهر منها :

- ١ - ابن الفارض (طبعة ثانية)
- ٢ - أبو العلاء المعري (طبعة ثانية)
- ٣ - ابن خلدون (طبعة ثانية)
- ٤ - الفزالي : في جزئين (طبعة ثانية)
- ٥ - ابن حفيل (طبعة ثانية)
- ٦ - ابن رشد : في جزئين (طبعة ثانية)
- ٧ - أخوان الصنفاء .

للمؤلف أيضاً :

قربان الأغاني : معرّب عن طاغور

تم طبع هذا الكتاب
في الثامن من شهر آذار
سنة ١٩٥٢